لقطات نادرة لدخول القوات البريطانية الى العراق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2518) السنة التاسعة
الاثنين (25) حزيران 2012

6

الرسالة الاخيرة الى مدحت باشا من زوجته العراقية

قراءة في مذكرات عبدالجبار الراوي

مدير الشرطة يرفض طلب الحكومة مراقبة تصرفات الملك غازي

د. أكرم عبدالرزاق المشهداني

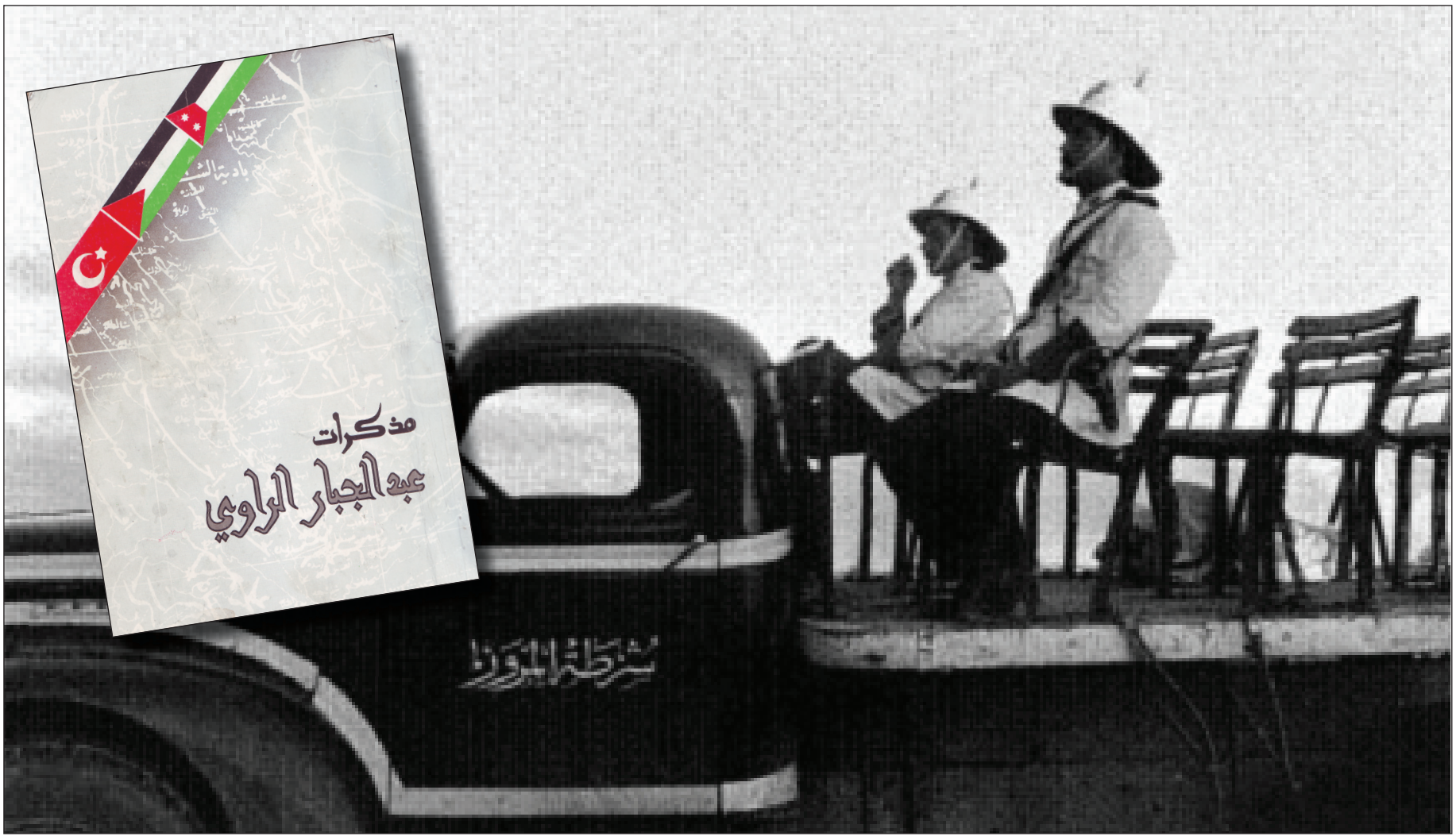

تُشكل (ذكريات) و(مذكرات) عدد من كبار ضباط الشرطة العراقية التي صدرت خلال القرن الماضي، مرجعاً مهماً في سفر تاريخ جهاز الشرطة العراقية، وتحليل لمحطات مشهودة من تأريخ هذا المسلك الذي شابته شوائب عديدة، وتعرض تأريخه للطعن والتحريف والتأويل، كلّ يراه من زاوية نظره وتفسيره ومرجعيته، فالبعض من السياسيين العراقيين يرى في الشرطة أداة النظام وعصا للقمع والتنكيل والإضطهاد، وآخرون يرون غير ذلك وأنها مجرد جهاز حرفي، منطلقين من كون الشرطي إنما يمثل عصا القانون، وهو المنفذ للأوامر والتعليمات. ولايفترض أن نتخيل الشرطي سياسياً أكثر من السياسيين، فهو لا يعرف غير القانون والأوامر والتعليمات ولاشيء فوقها ولا بعدها.

ومن كتب المذكرات الشخصية المهمة التي دونها كبار ضباط الشرطة العراقية هي مذكرات المرحوم الفريق عبدالجبار الراوي، أحد أبرز قادة الشرطة في القرن الماضي، الذي دون فيها اهم الاحداث التي صادفته من خلال مسيرة عمله المضني في سلك الشرطة، وخصوصا في المراحل المبكرة من تأسيس الشرطة، وتنطوي تلك المذكرات على تفسير للأحداث، وعرض لتفاصيل الإجراءات والمواقف الميدانية التي تعرضت لها الشرطة في بغداد ومحافظات العراق، وسنحاول أن نسرد في هذه الحلقة من محطات من تأريخ شرطة العراق أهم الأحداث والمواقف التي واجهتها الشرطة العراقية، كما دونها الفريق الراوي في مذكراته.

عبدالجبار الراوي عسكري محترف ومتمرس، شارك في الحرب الأولى ضابطا في الجيش العثماني والتحق بعدها بالثورة العربية، وانتمى للجيش العراقي بعد تأسيسه ١٩٢١، وشغل منصب مدير إدارة البادية في الشرطة، ومتصرفا لألوية الحلة وكربلاء ومديراً للسجون وعميداً لكلية الشرطة ونائباً بالبرلمان بعد إحالته الى التقاعد عام ١٩٥٥.

سيرته:

-الفريق عبد الجبار عبد الله احمد الراوي، من مواليد راوة ١٨٩٨ شارك في الحرب العالمية الأولى ضابطاً في الجيش العثماني سنة ١٩١٦ وجرح أثناء حصار الجنرال ثاونزند في الكوت ومنح وسام الحرب .

-أنضم إلى قوات الثورة العربية سنة ١٩١٧ وعين في جيشها الشمالي برتبة ملازم أول وتولى فيه وفي جيش الحكومة العربية في الشام واجبات مختلفة، وبعد سقوط دمشق في يد قوات الاحتلال الفرنسي، عاد إلى العراق .

-انتمى إلى الجيش العراقي عند تأسيسه في سنة ١٩٢١ برتبة ملازم أول، ونقل إلى الخدمة في الشرطة سنة ١٩٢٢ لقيادة بيرق الهجانة الشمالية، وتدرج في الوظائف والرتب من معاون شرطة (ملازم أول) إلى درجة مدير شرطة عام (برتبة فريق)..

وسام الرافدين في العهد الملكي

-منح أوسمة عديدة منها: نوط معان، نوط الاستقلال، وسام النهضة، وسام الرافدين.

-تم انتخابه نائباً في المجلس النيابي سنة ١٩٥٨ وأختير لعضوية مجلس (الاتحاد العربي). له مؤلفات عديدة أشهرها : كتاب (البادية) وطبع ثلاث طبعات. وكتاب (أحكام من القرآن) وطبع طبعتين، ومخطوطة بعنوان (من ثمرات المطالعة) .

-توفي في بغداد يوم ١٩٨٧/١٢/٢٦ ودفن في مقبرة الكرخ .

المناصب والمسؤوليات التي شغلها الراوي:

يقول الراوي صاحب المذكرات:

((عملت بشرطة بغداد عدة مرات، في أوقات مختلفة، تغيرت فيها المناصب والمسؤوليات، فقد عملت معاوناً لمدير شرطة لواء بغداد في العشرينات وعملت مديراً لشرطة لواء بغداد في عقد الثلاثينات كما عملت معاوناً لمدير الشرطة العام للحركات، ثم مديراً عاماً للشرطة في عقد الأربعينات وأخيراً عميداً لكلية الشرطة في الخمسينات)).

كما عهدت إليه وظائف :

مدير إدارة البادية، متصرف لواء الحلة، متصرف لواء كربلاء ١٩٣٩، مدير السجون العام، ثم عميد كلية الشرطة (مدير المدارس) وأحيل إلى التقاعد سنة ١٩٥٥.

ذكريات من معاونية شرطة بغداد في الكرخ في العشرينات:

يضيف الفريق عبدالجبار الراوي:

((التحقت بوظيفة معاون مدير شرطة لواء بغداد في الكرخ في ١٧ تشرين الأول ١٩٢٦ وكانت تشكيلات مديرية شرطة لواء بغداد حينها تتألف من المدير، تتبعه خمس معاونيات وهي :

١.معاونية السراي: وتشمل المنطقة ما بين الشورجة والصليخ وبضمنها الأعظمية.

٢.معاونية العبخانة: وتشمل المنطقة الممتدة ما بين الشورجة حتى الباب الشرقي.

٣.معاونية الكرخ: وتشمل مناطق الكرخ وكرادة مريم والكاظمية والمحمودية ونهر دجلة بكامله ضمن حدود بغداد.

٤.معاونية الكرادة الشرقية: وتشمل المنطقة من الباب الشرقي وحتى سلمان باك (المدائن).

٥.معاونية شرطة سامراء: وتشمل سامراء والدور وتكريت وبيجي ((وجميعها كانت نواحي تتبع قضاء سامراء التابع لبغداد)).

وكانت قوات الشرطة مؤلفة من فرسان ومشاة فقط، ولم تكن فيها سيارة مسلحة أو سيارة للنقل وكان لمعاونية شرطة الكرخ زورقان صغيران يتسع الواحد منهما لخمسة أشخاص).

ويذكر الراوي أنه كان مخولاً (سلطة محقق) من وزير العدلية، لذا كان يحضر التحقيق في جميع جرائم الجنايات التي تحدث ضمن المنطقة، وكان يقوم بتنظيم التقارير الخاصة بالجرائم الواقعة.

الموظفون البريطانيون في الشرطة

كان للموظفين البريطانيين المنسبين الى مسلك الشرطة في تلك المرحلة، نفوذ وسلطة كبيرين، فمثلا كان في مقر شرطة

بغداد ضابطا تفتيش بريطانيان هما (الميجر بتلر) و (الكابتن ولكنس)
وكان الضباط العراقيون، ومنهم مدير شرطة لواء بغداد، يتهيبون منهما ويحسبون لهما حساباً. وهذان الضابطان كانا تابعين لمفتش عام الشرطة (الكولونيل بريسكوت) وهو كان صاحب نفوذ وسلطة في مديرية الشرطة العامة، و يستمد سلطته من مستشار وزارة الداخلية المدعو (كنهان كورنووالس)، ومع ذلك فيروي عبدالجبار الراوي في مذكراته ان مدير الشرطة العام في العشرينات (الحاج سليم) كان يقف بوجه الكولونيل بريسكوت بقوة ويتصدى لنفوذه، ولا يسمح له بالتدخل في قرارات الشرطة .
وكان في مركز شرطة السراي عريف بريطاني يدعى (سير جنت دين) ومفوض تدريب هندي اسمه (واجه) يقومان بتعليم المراتب الذين يعينون حديثاً في قاعة تقع عند سطح مديرية شرطة لواء بغداد .

الراوي يحارب الفساد في الشرطة:

يقول الراوي في مذكراته:
((تبين لي من خلال تحقيقاتي، أن مأمور مركز شرطة الكرخ (المدعو توفيق) كانت له علاقة بالسراق، وكان متفقا معهم حول السرقات، وذلك لأنه كان ملتزما من قبل ضابطي التفتيش البريطانيين، وحين أصررت على إحالته للمحكمة، بعد أن كشفت هذه العلاقة المشبوهة، فقد دبرت لي مكيدة وتم نقلي إلى شرطة بعقوبة في ١٩٢٧/٥/٢٤.
وبعد التحاقي بشرطة بعقوبة جاء مدير الشرطة العام الحاج سليم إلى لواء بعقوبة للتفتيش، فقال لي:
لقد عاقبنا المفوض توفيق بتنزيل الدرجة مع غرامة نقدية، فهل يرضيك هذا ؟.
قلت له:
كنت افضل أن يساق إلى المحكمة لكي تبرهن الشرطة بوضوح إنها لا تتستر على عيوب المنتسبين اليها، ولكي يكون هذا الإجراء رادعا للآخرين الذين تحدثهم نفوسهم بالإساءة إلى واجباتهم، وفعلا تمت إحالة المفوض المذكور الى المحكمة وعوقب)).

الراوي يشغل منصب مدير شرطة لواء بغداد

في الثلاثينات كان المنصب الأول الذي شغله الراوي هو معاون مدير الشرطة العام للحركات، إلا إن وزارة الداخلية طلبت منه في ٢٥ ايلول ١٩٣٥ان يشغل منصب مدير شرطة لواء بغداد، ويقول الراوي:
((قد وجدت في بغداد بعض الأمور التي عددتها مخالفة للعدالة، إذ كان المشبوهون بالسرقات يحتجزون في المراكز ليلاً، خوفاً من ارتكابهم السرقات. فلم أقتنع بهذا الإجراء لأنه مقيد للحرية، ومخالف للعدالة، فالشخص أما أن يكون بريئاً فتترك له حريته، وإما أن يثبت ارتكابه جرماً ما، فيجب تقديمه إلى المحاكمة، لذلك أبطلت هذا الإجراء، وأنشأت خفارة للمراكز، وأخرى لمراقبة الدوريات، وجعلت هذه الدوريات مع الحراس مسؤولين عن حوادث السرقة التي تقع ضمن مناطق واجبهم، باعتبارهم أما شركاء في الجريمة أو مهملين لواجباتهم... وكنت كلما حدثت سرقة في منطقة ما، طلبت توقيف حراسها ودورياتها باعتبارهم مهملين لواجباتهم . وباتخاذ هاتين الخطوتين انعدمت السرقات في العديد من مناطق العاصمة تقريباً. الأمر الآخر الذي لم يرقني، هو قيام الشرطة، خلال الليل، بطرق أبواب الأشخاص المحكوم عليهم بوضعهم تحت مراقبة الشرطة ليظهروا مبرهنين وجودهم في الدار، خاصة الأشخاص المحكومين بقضايا سياسية، لذلك أصدرت أمرا بإبطال هذا الأسلوب غير المقنع، والذي يزيد من كراهية الشرطة، لقد كان كل همي أن ينام الناس في بيوتهم مطمئنين ملء عيونهم آمنين)).

قصة توقيف جورج نعيم:

في أحد الأيام، كان وزير الداخلية على خط الهاتف، يحادث مدير شرطة بغداد عبدالجبار الراوي، طالبا منه أن يقبض فورا على شخص اسمه (جورج نعيم)، فما كان من مدير شرطة بغداد إلا أن يجيب :
(سيادة الوزير، من الأفضل أن يأتيني هذا الأمر عن طريق متصرف لواء بغداد).
فوافق الوزير –على مضض – على ذلك، وبعد أقل من ساعة كان المتحدث على الهاتف هو متصرف بغداد شخصيا، وهو يطلب من مدير شرطة بغداد توقيف نفس الشخص (جورج نعيم)، فما كان من مدير شرطة بغداد إلا أن يطلب من متصرف بغداد أن يعزز هذا الأمر الشفهي تحريريا، لكن المتصرف انزعج، وأبدى امتعاضه من اصرار الراوي على عدم تنفيذ امر الوزير وامر المتصرف، لكن مدير بغداد أصر على مبدئه موضحا للمتصرف أن هذا هو الطريق القانوني السليم، لأن الشرطة لا تقبض على الناس دون أوامر قبض صريحة وتحريرية وواضحة مع ذكر التهمة.

مدير الشرطة يرفض امر الحكومة بالرقابة للحد من تصرفات الملك غازي الشخصية

عدّت وزارة ياسين الهاشمي بعض سلوك الملك غازي وتصرفاته الشخصية لا تليق بملك البلاد، لذلك فقد أقدمت وزارة الداخلية على بضعة إجراءات وابتداءً من ١٤ حزيران ١٩٣٦ للحد من تصرفات الملك.
فأحدثت مثلا مخفرا للشرطة بجوار قصر الملح – الحارثية – الذي اتخذه الملك قصرا ثانيا له يقضي فيه اكثر اوقاته. ولم تكتف الوزارة بذلك، فأرادت أن تبعد عنه سائق سيارته (إبراهيم)، إلا أنها اتبعت طريقة غير مألوفة، فبدلاً من أن تتبع الإجراءات القانونية، فقد طلبت من مدير الشرطة العام أن يهيئ أشخاصاً يتشاجرون مع السائق المذكور في إحدى الليالي، لاتخاذ ذلك ذريعة لتوقيفه وإبعاده عن مصاحبة الملك.
ولما جرت محادثة مدير شرطة بغداد بذلك، فقد استنكر هذا الإجراء وقال لمن بلغه الأمر:

إنه من العار على الحكومة أن ترتكب مثل هذا التزوير الشائن، ولكن في إمكان الشرطة القبض على السائق وزجه في السجن فقط في حالة مشاهدته وهو في حالة سكر بيّن، أو عند ارتكابه جرما مشهودا، وبخلاف ذلك يمتنع مدير بغداد عن المشاركة في تنفيذ إجراء غير قانوني!!.

يقول الراوي في مذكراته :
((إن معارضتي للأمر ليس فقط لأنه يمس ملك البلاد، ولكن لأنه مخالف للقانون والعدالة، ولاعتقادي إن كل حكومة تزور الحقائق مهما كانت الغاية من ذلك العمل، تمهد لنفسها الزوال).

الراوي في منصب مدير الشرطة العام

شغل عبدالجبار الراوي منصب مدير الشرطة العام في ٦ حزيران ١٩٤٥ في ظروف صعبة، في أثر انهيار ألمانيا النازية واستسلامها للحلفاء في ٨ أيار ١٩٤٥ باعتبار إن العراق كان حليفاً لبريطانيا في تلك الحرب.
كما حصلت حركات الشمال على إثر حركة الملا مصطفى برزاني، وعزيز ملو في الشمال، إضافة إلى تفاقم الواجبات الاعتيادية للشرطة.
وعند تسلمه مهمات وظيفة قيادة الشرطة العامة فقد كان يتبعها ١٤ مديرية شرطة لواء إضافة إلى مديريات شرطة السكك والكمارك والسفر والجنسية والإقامة والمرور والمخابرة والقوة السيارة والمدارس والبادية الجنوبية والبادية الشمالية وبادية الجزيرة، فضلا عن تشكيلات المقر وهي : التفتيش والحركات والتحقيقات الجنائية (التي أصبحت فيما بعد الأمن العامة) والإدارة والمحاكم والصحة .

خطة العمل التي اتبعها عبدالجبار الراوي:

يقول عبدالجبار الراوي في مذكراته:
((لقد مارست العمل في سلك الشرطة ٢٤ سنة أمضيتها في شمال العراق وجنوبه وشرقه وغربه وفي البوادي والمدن، واكتسبت خبرة عن محاسنه ومساوئه، حتى توليت منصب مدير الشرطة العام.
وإذا كنت قد رسمت خطة وعينت لها أهدافاً، فإن ذلك لم يكن ارتجالا وإنما كان نتيجة تفكير يعتمد التجربة وكانت خطتي في العمل ترمي إلى ثلاثة أهداف :
١. رفع مستوى ضباط وأفراد السلك .
٢. تقوية قوات الشرطة وجعلها قادرة على القيام بواجباتها .
٣. جعل الشرطة خادمة للشعب حقاً وصدقاً)

تطوير الجهاز

كان الراوي أول من وضع نظاما في عدم ترقية (معاون مدير شرطة) إلى درجة (مدير شرطة) ما لم يجتز دورة الضباط العليا أولاً، ثم يقود بنجاح فوجاً من أفواج شرطة القوة السيارة ثانياً، حتى يصبح معلوماً للجميع في سلك الشرطة أن التعلم والثقافة والتجربة العملية هي الطريق الوحيد للتقدم.
وقد حدث أن طلب وزير الداخلية منه إصدار أمر إداري يتضمن ترقية (بهجة العطية) وكان وقتها وكيل مدير شرطة لواء الديوانية،إلا أن الراوي رفض إصدار أمر ترفيعه، وأصر على التمسك بخطته المشار اليها، لأنه لا سبيل إلى ترفيع أي ضابط مهما كان موقعه، من معاون (نقيب) الى مدير شرطة (رائد) مالم يدخل الدورة، وينجح فيها، ومن ثم ينجح في قيادة فوج في القوة السيارة، ومن ثم يرفع ويعاد إلى الديوانية، وهكذا لم يتم ترفيع بهجت العطية طيلة مدة وجود الراوي في رأس الشرطة العامة، يقول الراوي:
((ليس ذلك لأن بهجت العطية لا يستحق الترفيع، بل من أجل الإلتزام بالخطة التي رسمتها لرفع المستوى المهني والكفاية العملية لرجال هذا المسلك . ولكي يعلم رجال الشرطة الآخرون إن هذا الأمر لا يخضع للمؤثرات ولا يستثنى منه أحد.
كما يذكر عبدالجبار الراوي في هذا المجال حادثة أخرى، فيقول:
((كنت قد ذهبت بصحبة وزير الداخلية إلى شمالي العراق أثناء حركات الشمال، وكانت دورة المفوضين البالغ عددهم (٥٠٠) تلميذ قد تخرجت، فأمرت بتوزيع جميع خريجي الدورة على أفواج الشرطة السيارة في منطقة الحركات في الشمال، وطلبت من صالح حمام، وكيل مدير الشرطة العام يومئذ، أن يتم تسفيرهم جميعاً ليتسنى لبدائلهم العودة إلى بغداد والألوية الأخرى، فلما عدت لبغداد

وجدت أنه قد جرى توزيعهم جميعاً ما عدا المفوض (شهاب المختار)، فاستفسرت من صالح حمام عن سبب تأخيره، فأجاب : إن رئيس الوزراء توفيق السويدي قد طلب منه ذلك. فأنبته على استجابته لطلب رئيس الوزراء، لأن هذا الموضوع مسلكي وهو من صميم واجباتنا وليس لأحد مهما كانت درجته التدخل فيه . وأفهمته بوجوب تسفيره ذلك المساء، رضي رئيس الوزراء أم لم يرضى، فقام بتسفيره بالقطار في نفس اليوم، و من غير تلكؤ)).

العلامة الأثري يصف مذكرات عبدالجبار الراوي:

لقد قدم لمذكرات الراوي الواقعة بـ (٢١٧ صفحة) الأستاذ العلامة (محمد بهجت الأثري) الذي وصفها بقوله :

(وواقع هذا السفر، الذي بين أيدينا نقرأه، قد يجعله الفذّ أو الأول من مدوّنات التاريخ المعاصر في بابه وموضوعه، وفي جملة متطلبات التاريخ المثبت الممحص، التي تحدّث في النفس الوثوق به، والاطمئنان إليه، والاعتماد عليه. وهو في إيماءاته هذه إلى مضامين سفره، قد بالغ بتواضعه، تمشيا مع فطرته الطبيعية السمحة، فلم يخلع عليه من النعوت أكثر مما فيه، واختصر واقتضب، بل تسامح كثيرا فذهب يقول: إن (كتابه ليس سيرة شخصية، أو تاريخا للأيام التي عاصرتها، وإنما هو سرد للأحداث..)، وهنا مكمن تواضعه ، فما كتابه كما توهم عبارته بالسرد الإنشائي ، ولكنه ذخيرة ضخمة من مادة تاريخية وافرة وخصبة ، تولّدت عنده من المعاناة في ثلاثة عهود من عهود العصر الحديث ، تداولت الحكم والسياسة والإدارة في العراق . وقُدر له منذ نشأته الأولى أن ينغمس في جوانب منها ، ويشغل أنواعا من الوظائف العسكرية والإدارية والمدنية ، متدرجا في رتبها ، رتبة بعد رتبة ، ثم يقتحم ميدان السياسة العامة في مضطربها الواسع ، وتستوي له من جملة أطوار حياته من التجارب هذه الذخيرة يودعها سفره في أصفى صورة ، وأصدق أداء).

ولكن ما يقوله العلامة الأثري يكشف جانبا من أهمية هذه المذكرات وليس الأهمية كلها ، لان قيمتها الكبرى تتمثل في جوانب أخرى هامة منها :

أنها تكشف الكيفية التي بني فيها العراق الحديث من خلال شهادة رجل عاش لهيب الأحداث وتسنم مناصب كثيرة جدا ، كما أنها تُلقي الضوء على متغيرات في الحياة العربية سياسة واجتماعا أحاطت بها شكوك وتناقضات مربكة . أضف إلى ذلك أنها وثيقة اجتماعية وأنثروبولوجية لا تقل قيمة عن كتب احتفينا بها طويلا كتبها باحثون ورحالة أجانب مثل ثيسيفر في كتابه عن الأهوار.

لقد عاش الراوي وقائع ثلاثة عهود كان فاعلا في كل منها وشاهدا حيا على أحداثه وصراعاته فحقت تسميته بالضابط المخضرم:

ففي العهد الأول الذي كان فيه العراق تابعا للدولة العثمانية كان الراوي من ضباط الجيش الذي كان يحاصر القوات البريطانية بقيادة الجنرال (تاوزند) في الكوت ، ويصد في الوقت نفسه هجمات القوات البريطانية الأخرى التي تحاول فك الحصار. ويعرض هزيمة تاوزند ثم اندحار القوات العثمانية ودخول الجنرال مود بغداد ويصف حالة بغداد آنذاك ومعاملة البريطانيين للضباط والجنود الذين تخلفوا عن الجيش العثماني المنسحب .

أما في العهد الثاني الذي خضع فيه العراق للاحتلال البريطاني فقد تطوع كضابط في الثورة العربية وانتقل بحرا عام ١٩١٧ للالتحاق بجيش الثورة الشمالي ووصف أوضاع جيش الثورة منذ انضمامه إليه حتى دخوله دمشق، وتتويج الأمير فيصل ملكا عليها ثم إسقاط الجنرال "غورو" هذه الحكومة وتشتت العاملين فيها وعودته الخطيرة عبر الصحراء .

وفي العهد الثالث ؛ العهد الوطني وإنشاء الحكومة العراقية فقد وصف الوضع بعد ثورة العشرين وإعلان العفو العام ودعوة الضباط العائدين وهو منهم للتسجيل في وزارة الدفاع عام ١٩٢١ ، ثم سلسلة المناصب الطويلة التي تسنمها – وأغلبها هام عاش بفعلها خضم أحداث جسيمة منها : قيادة الهجانة الشمالية والخلافات العشائرية وولاءاتها وسلوكها ، قدوم عصبة الأمم إلى الموصل بعد مطالبة تركيا بها ، ثورة من سمّوا " الإخوان " النجديين أيام كان مديرا للبادية ، تمرّد عشائر الديوانية عام ١٩٣٥ لما كان مديرا لشرطتها ، انقلاب بكر صدقي لما كان مديرا لشرطة بغداد ، تمرد الملا مصطفى البارزاني وعزيز ملو لما كان مديرا عاما للشرطة . وقد رصد تفصيليا التحولات الإدارية والاقتصادية في العراق من خلال ملاحظاته حول الزراعة والعلاقات الزراعية ، وقانون إدارة الألوية ونظام دعاوى العشائر والتدخل الحكومي في الانتخابات النيابية لما كان متصرفا للحلة ، وأوضاع السجون لما كان مديرا عاما للسجون ، وكيفية ترشيحه للمجلس النيابي وانتخابه نائبا عن لواء الديلم ، وأخيرا اختياره لعضوية مجلس الاتحاد العربي إلى قيام الثورة على الملكية في ١٤ تموز ١٩٥٤ .

إن مذكرات عبدالجبار الراوي تعد وثيقة اجتماعية وانثروبولوجية لأن الراوي يقدم وصفا تفصيليا لحالة كل مدينة كانت محطة في سفره الطويل ، فعلى سبيل المثال حين التحق بجيش الثورة العربية الشمالي فإنه يقدم وصفا لأحوال المدن من حيث عمرانها وأهميتها الاقتصادية والجغرافية وطبيعة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم المعيشية ، مثل بومبي وكراجي وبور توفيق والسويس والعقبة ومعان والقطرانة وعمّان ودرعا ودمشق وتدمر والسخنة ودير الزور ثم راوة . وقد قدم مثل هذا الوصف عن المدن العراقية التي تولى مناصب فيها مضيفا إليها وصف أحوالها الديموغرافية وحالتها الإقتصادية وطرقها المهمة وأنهارها وعشائرها الرئيسية ومشكلاتها والحوادث المهمة التي وقعت فيها وسلوك الضباط البريطانيين وصداماته بهم لأنه كان يرفض تدخلاتهم . ومن المدن التي وصفها الموصل ولواء الديلم ولواء وديالى (خانقين وبلدروز والنفط خانة ومندلي) والديوانية والبادية (التي وضع كتابا مستقلا عنها طبع ثلاث طبعات) والحلة وكربلاء .

ومن المفارقات التي تثير الألم في النفس أن نجد المدن العراقية في الثلاثينات من القرن الماضي أكثر ثراء منها الآن ، ففي إحصاء عام ١٩٢٧ كان في ديالى (٨٠٠٠٠٠) شجرة نخيل و (٨٢٤٧٤) شجرة مشمش و (٦٨٧٧٥) إجاص و (٦٠٠٠٠) برتقال ، أما الماشية فالغنم (٢٧٥٠٣٢) والماعز (٨٧٦٤٣) والإبل (٩٤٦١) والجاموس (٢٢٩٨) ، عدا ما يُهرّب ويُقدّر بالضعف .

وفي شأن السلوك السياسي سوف تكتشف الكيفية التي يمزق بها السياسيون الإنتهازيون نسيج الشعب من خلال اللعب على المسألة العشائرية .

يقول الراوي : (مذكراتي التي دونتها قبل أربعين عاما ، وأستعرضها اليوم مملوءة بالشكوى والألم ، حتى أنني كنت أجهر بأنه يجب محاسبة السياسيين في بغداد ومعاقبتهم قبل معاقبة هؤلاء الذين تمردوا بإغواء منهم ، لأنها فتنة ليس من المصلحة إثارتها ، إذ هي تشبه اللعب بالنار التي قد تحرق صاحبها قبل غيره . إن مجيء وزارة تمثل كتلة عشائرية معناه إثارة الفتنة التي قد تؤدي إلى محنة في البلاد ، وهي حديثة عهد بحكم نفسها يجهل عامة الناس ألاعيب السياسة ومسالكها التي يحرص المتمرسون والمحترفون فيها على استغلال بساطة الناس وعواطفهم ، ولاسيما أبناء العشائر).

وفي مسيرة الثمانين عاما يدهشك السلوك المبدئي ؛ السياسي الذي لا يعلي غير مصلحة العراق والإداري الذي لا سلطة فيه إلا للقانون ، وهذا الأمر أدخل الراوي في مشكلات وصدامات كبيرة ذكرها تفصيليا . وفوق هذا كلّه فإن المسيرة الثمانينية بأكملها تترفع عن أي سلوك ميكافيلي يقوم على أساس أن الغاية تبرّر الواسطة . وهناك عشرات الأمثلة خذ منها ما يتعلق مثلا بسلوك الملك غازي .يقول الراوي أيام كان مديرا لشرطة بغداد:

(عدّت وزارة ياسين الهاشمي بعض سلوك الملك غازي وتصرفاته الشخصية لا تليق بملك. وابتداء من ١٤ حزيران ١٩٣٦ أقدمت الوزارة على أعمال للحد من تصرفات الملك . فأحدثت مخفرا للشرطة بجوار قصر الملح الذي اتخذه الملك قصرا ثانيا له يقضي فيه أكثر أوقاته . ولم تكتف الوزارة بذلك، فأرادت أن تبعد عنه سائق سيارته إبراهيم ، إلا أنها اتبعت طريقة غير مألوفة ، فبدلا من أن تتبع الإجراءات القانونية ، طلبت من مدير الشرطة العام أن يهيئ أشخاصا يتشاجرون معه في إحدى الليالي ، لاتخاذ ذلك ذريعة لتوقيفه وإبعاده عن الملك .

ولما جرت محادثتي بذلك استنكرته قائلا : إنه من العار على الحكومة أن ترتكب مثل هذا التزوير الشائن ، ولكن في الإمكان القبض على السائق وزجه في السجن حين يكون في حالة سكر . وأصررت على مخالفتي هذه الأعمال وأمثالها ، وامتناعي عن المشاركة فيها ، لا لأن ذلك ضد الملك فحسب ، بل لأنه عمل مخالف للحقيقة والعدالة ، ولاعتقادي أن كل حكومة تزوّر الحقائق ، مهما كانت الغاية من ذلك العمل ، تمهد لنفسها الزوال ، فلما رأى مدير الشرطة العام إصراري على موقفي ، تجاوزني ، واتفق مع أحد المعاونين على غير علم مني ، ودبر للسائق ما أسلفت ذكره من الخطة لتوقيفه).

سيرة تستحق التخليد:

من المؤسف أن سيرا عراقية وعربية كبرى مثل هذه تمرّ دون أن تحظى بالاهتمام الكافي بها إعلاميا ونقديا .

لقد اهتم الإعلام الغربي بدور " لورنس " بصورة واسعة حتى صنعوا منه أسطورة هائلة ، في حين أن حياة الكثيرين من ضباط الثورة العربية من العراقيين – ومنهم السيّد " عبد الجبار الروي " – توازي حياة لورنس وتكاد تفوقها . حياة ملحمية زاخرة بالمخاطر الجسيمة والتضحيات وروح الفروسية والمعارك القومية والوطنية الهائلة التي تغطّي كتبا وأفلاما ومسلسلات.

مذكرات عبدالجبار الراوي تعد وثيقة اجتماعية وانثروبولوجية لأن الراوي يقدم وصفا تفصيليا لحالة كل مدينة كانت محطة في سفره الطويل ، فعلى سبيل المثال حين التحق بجيش الثورة العربية الشمالي فإنه يقدم وصفا لأحوال المدن من حيث عمرانها وأهميتها الاقتصادية والجغرافية وطبيعة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم المعيشية ، مثل بومبي وكراجي وبور توفيق والسويس والعقبة ومعان والقطرانة وعمّان ودرعا ودمشق وتدمر والسخنة ودير الزور ثم راوة

أوراق برلمانية

حسين جميل

نواب يحرمون من الاشتراك بجلسات مجلس النواب في العهد الملكي

داود السعدي.. ضرب على المناضد بشدة وأصوات.. اسكت... اخرس!

النائب شخص منتخب من جمهور الناخبين ليمثل الامة في مجلس النواب. ومجلس النواب مع مجلس الاعيان كان يسميهما دستور سنة ١٩٢٥ الذي سقط بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مجلس الامة. واذا كان هذا الدستور يتضمن نصا يقول ان.. "للعراقيين حرية ابداء الرأي والنشر" (م١٢) فان احترام هذا النص كان اولى بالفئة الحاكمة ان ترعاه بالنسبة للنواب. والدستور ينص في المادة الستين منه على ان "لكل عضو (في مجلس النواب والاعيان) حرية الكلام التامة في ضمن حدود وناظم المجلس الذي ينتسب اليه، غير ان ضيق الفئة الحاكمة في ذلك العهد بالاراء التي تبد بنقدهم او بمعارضة ارائهم وافكارهم ومواقفهم وسياستهم امتد الى اعضاء مجلس النواب. ولم يعصم النواب من العقاب على رأي ادوه ما قرره لهم الدستور من حرية الكلام وابداء الرأي في الشؤون العامة. واذكر للدلالة على هذا الذي اقوله حادثتين:

(الأول) في ١١ آب (اغستوس) سنة ١٩٣٧ قتل الفريق بكر صدقي رئيس اركان الجيش الذي كان قد قام بانقلاب عسكري في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ سقطت به وزارة ياسين الهاشمي وحلت وزارته برئاسة حكمت سليمان. وفي ١٧ من اب استقالت هذه الوزارة وخلفتها وزارة برئاسة جميل المدفعي.

حلت وزارة جميل المدفعي مجلس النواب الذي كان قد تشكل في عهد وزارة حكمت سليمان وتشكل مجلس جديد للنواب عقد اجتماعه الاول في ١٩٣٧/١٢/٢٣ حيث القى الملك خطاب العرش الذي هو منهج الوزارة لسنة وفي الجلسة التالية التي انعقدت بتاريخ ١٩٣٧/١٢/٢٩ نظر المجلس في "تقرير لجنة تحرير العريضة الجوابية على خطاب العرش" وسأل رئيس المجلس "هل يوجد من يطلب الكلام" فكان اول المتكلمين داود السعدي . نائب الكوت . وكان من جملة ما قاله "ان في العراق اليوم بعض النزعات التي لا نريد بقاءها ويجب ان نتكاتف على محوها، وقال ان الشيوعية "لا تبقى ولا تذر تهدد العراق بدولته واستقلاله وملكه ودينه وعائلته وماله وشرفه وجميع مقدساته فيجب ان نتكاتف بحزم لمحوها".

اسكت...اسكت!

ثم قال "اين اعمال الحكومة ومشاريعها لامحاء هذه النزعة...

يجب محو كل من يحمل فكرة الشيوعية. انا بالعكس ارى هذه الفكرة تساند من قبل الحكومة الحاضرة" (ص٩ من المحضر الرسمي المنشور ملحقا بالوقائع العراقية) نجد في هذا المحضر بعد هذا الذي قاله داود السعدي (ضرب على المنضدة بشدة واصوات اسكت.. ضجيج وصياح عال وضوضاء) داود السعدي. الكوت. مستمرا لدي دليل.

اصوات.. اسكت.. اخرس

داود السعدي

داود السعدي . (الكوت) العفو اعتذر من المجلس واسحب كلامي ضوضاء وضرب على المناضد واصوات اسكت لا تتكلم يجب ان تخرج من القاعة) (ص١٠ من المحضر الرسمي) وتجد فيه في الصفحة ذاتها ان سلمان البراك نائب الحلة قال "طالما النائب داود السعدي قد اهان الحكومة بحضور المجلس فعليه اقترح اخراجه من المجلس واقدم اقتراحا بذلك.

معارضة غير نزيهة! داود السعدي يخرج...

عقب ابراهيم كمال وزير المالية على الموقف وكان مما قاله "ان ممارسة داود السعدي كانت غير نزيهة انما تطاول بالكلام واهان الحكومة امام هذا المجلس الموقر فعليه اجده غير لائق للجلوس معكم في مجلسكم هذا.

قدم سلمان البراك . نائب الحلة . اقتراحا بطرد داود السعدي من المجلس وقدم توفيق السويدي وزير الخارجية اقتراحا قال فيه بما ان داود السعدي قد اهان المجلس والوزراء فاطلب من المجلس الموقر تطبيق المادة ١٢٠ من النظام الداخلي باخراجه مؤقتا لمدة الاجتماع"..

ايد الاقتراح مصطفى العمري وزير الداخلية وطلب محمود رامز التسامح وقال ان اهانة الوزارة لا تستوجب عقوبة الاخراج.. وضع رئيس المجلس الاقتراحين بعدم اشتراك داود السعدي في الجلسات مدة اجتماع المجلس بالتصويت مرة واحدة لانهما بمعنى واحد واعلن قبولهما (ص١٤ من المحضر الرسمي للمجلس).

والمادة ١٢٠ من النظام الداخلي للمجلس التي استند اليها القرار تنص على حرمان النائب مؤقتا من الاشتراك بجلسات المجلس في حالات نصت عليها المادة منها اهانة الوزراء.

تعقيب على خطاب العرش

(الحادثة الثانية) وقعت في سنة ١٩٤٨ ففي جلسة ١٩٤٨/١٠/٢٨ تليت الصيغة المقترحة من لجنة تحرير العريضة الجوابية على خطاب العرش. وخطاب العرش يعتبر منهجا للوزارة لسنة قادمة.

عقب بعض النواب على خطاب العرش في هذه الجلسة وفي الجلسة التي تلتها والتي انعقدت بتاريخ ١٩٤٨/١١/٣.

كان من جملة ما قاله عبد الرزاق الشيخلي . نائب بغداد . ما خاطب به رئيس الوزراء وكان مزاحم الباجه جي يقوله له "لو كانت هناك حياة ديمقراطية لما اتيت الى هذا المجلس وجاء في اقواله تعبير "الفئة الضالة الحاكمة" وقال عن خطاب العرش ان هذا الخطاب المزخرف اوحي به الى رئيس الوزراء جون بول".

كان من رد الفعل لدى بعض النواب على اقوال عبد الرزاق الشيخلي ان اقدم ثلاثة نواب هم احمد العامر . نائب البصرة . وعبد المجيد عباس . نائب المنتفك وجميل الاورفلي . نائب ديالى . اقتراحا تحريريا بمنع عبد الرزاق الشيخلي من حضور جلسات المجلس لنهاية الدورة غير الاعتيادية. وعقب عبد الرزاق الظاهر نائب بغداد على الاقتراح بان يكتفي باعتذار من عبد الرزاق الشيخلي وقال رئيس المجلس انه طلب من عبد الرزاق الشيخلي ان يعتذر فلم يقبل.

قال حسن عبد الرحمن . نائب البصرة . ان عبد الرزاق الشيخلي لم يقصد اهانة احد في هذا المجلس وطلب تأجيل النظر في اقتراح النواب الثلاثة حتى تهدأ النفوس.

وايد جلال بابان . وزير المواصلات والاشغال فرض عقوبة على عبد الرزاق الشيخلي

مطلوب عقوبة اكبر!

وقال مزاحم الباجه جي رئيس الوزراء انه يرجو من المجلس العالي ان ينظر الى الامر بشدة واذا كانت هناك عقوبة في النظام الداخلي اكثر من (عقوبة المنع من حضور الجلسات) ارجو ان يلجأ اليها المجلس.

عارض اقتراح النواب الثلاثة حسين جميل نائب بغداد وكان مما قاله ان عقوبة الحرمان من حضور جلسات المجلس تعني حرمان النائب من حق التمثيل الشعبي التي انتخبه الناخبون للقيام بها والاختلاف في الرأي في هذا المجلس مفترض فلكل نائب رأيه وطريقته في التفكير واسلوب في التغيير.. فيجب ان نقبل كل قول يعبر عن رأي قائله.

وتكلم في هذا الموضوع ذيبان الغبان نائب بغداد وكان من جملة ما قاله "ان النظم الديمقراطية جعلت كل نائب حر في ابداء رأيه.. واذا كان النائب قد وجه تهمة لفخامة رئيس الوزراء فعلى فخامته ان يرد التهمة..

حسين جميل

ان النائب يمثل الامة فطرد النائب لا يكون الا لجريمة مهمة معينة.

وتكلم في الموضوع محمد رضا الشبيبي نائب بغداد فقرأ المدة ١٢٠ من النظام الداخلي وفيها الافعال التي يمكن معها حرمان النائب من الحضور للجلسات وقال ان امراً من الامور التي عددتها المادة لا تنطبق عليها اقوال النائب عبد الرزاق الشيخلي.

وقال محمد حديد . نائب الموصل "سبق لفخامة رئيس الوزراء وقال ان جلسة سابقة علينا الاقتداء بالدول الديمقراطية وخير ما يقتدى به هو النظام البرلماني والبرلمان الانكليزي نفسه فهناك تتسع الصدور الرحبة ازاء الانتقادات مهما تكن لاذعة واكثر مما قاله عبد الرزاق الشيخلي لان رحابة الصدر هي التي تفسح المجال للمجادلة والمناقشة..

بادرة خطيرة

وقال علي كمال . نائب السليمانية . ان منع النائب من حضور الجلسات بادرة خطيرة ولا يجوز اخراج النائب من جلسات المجلس على ما بدر ووقع.

وقال ابراهيم الشابندر . رئيس العمارة . ان كلمات عبد الرزاق الشيخلي غير واضحة وربما كانت كلماته عامة وارى ان يسمح للنائب بان يسأل عن اقواله هل انه قصد جهات معينة او كلمة سياسية.

قدم عبد المنعم الرشيد . نائب الحلة . اقتراحا بالاكتفاء بالمذاكرة وقبل ان يوضع هذا الاقتراح بالتصويت عقب عليه حسين جميل نائب بغداد فقال ان النائب الذي يدور حوله موضوع الاخراج لم يتكلم حتى الان وقد طلب الكلام فعلا فارى ان تعطى له فرصة للتكلم دفاعا عن نفسه قبل ان يقبل الاقتراح لان قبول الاقتراح قبل ان يتكلم معناه حرمانه من حق الدفاع.

غير ان هذه الملاحظة لم تجد باعطاء عبد الرزاق الشيخلي حق الكلام ووضع الرئيس اقتراح الاكتفاء بالمذاكرة بالتصويت واعلن قبوله.

وقدم خمسة نواب هم محمد حديد وحسين جميل وجعفر البدر وحسن عبد الرحمن وفائق السامرائي اقتراحا بان يكون التصويت على اخراج النائب عبد الرزاق الشيخلي بطريقة تعيين الاسماء.

اودعناكم!

هنا نجد في المحضر ان عبد الرزاق الشيخلي قال "المجلس الذي لا يسمح لمتهم ان يدافع عن نفسه يترك اودعناكم وترك الجلسة.

ومنع الرئيس اقتراح التصويت على حرمان عبد الرزاق الشيخلي من حضور جلسات المجلس بطريقة تعيين الاسماء بالتصويت وقبل.

وجرى التصويت بهذه الطريقة وهنا ترك اكثر المعارضين الجلسة.

ثم اعلن الرئيس نتيجة التصويت بان الموافقين على حرمان النائب من حضور جلسات المجلس ٦٩ نائبا والمخالفين ثلاثة والغائبين عن الجلسة ٦٢ نائبا.

قضى الوالي العثماني والمصلح الشهير (مدحت باشا) في بغداد ثلاثة اعوام ونصف وقد تمكن خلال الفترة الوجيزة من القيام بالكثير من الاصطلاحات التي تذكرها عنه كتب التاريخ، فقد تمكن خلال توليه ولاية بغداد من القضاء على تمرد بعض العشائر، كما قام بتطوير النقل على نهري دجلة والفرات، واسس صندوقا للضمان، وبنى مستشفى، وانشأ خطا للترام واصدر اول جريدة في العراق، (الزوراء) التي صدر عددها الاول في 1879/6/15 من ثمان صفحات، بعد ان استورد لهذا الغرض مطبعة من باريس، اطلق عليها اسم مطبعة الولاية (ولايت مطبعة سي)، وكان يجيد العربية والفارسية الى جانب التركية، ولعل التجربة الاهم في حياة (مدحت باشا) المرتبطة ببغداد، هي زواجه من سيدة عراقية تدعى (شهربان)، ولهذه الزواج قصة طريفة.

الرسالة الاخيرة الى

مدحت باشا

من زوجته العراقية

نصرت مردان
باحث عراقي

ذات ليلة بغدادية اتاه حلم غريب ترك في نفسه اثرا عميقا حلم بانه يتجول في غابة (بلغراد) باسطنبول بحثا عن طريدة، وسرعان ما برزت امامه غزالة رشيقة، ورغم مطاردته لساعات الا انه لم يظفر بها. فقد كانت تبتعد عنه نافرة كلما هم بالاقتراب منها واستعداده لاقتناصها. لكنه عندما حاصرها قرب نبع، وهم باطلاق النار عليها، اذا بها تتحول الى فتاة باهرة الجمال، تنظر بفتنة وغنج وهي تقول له:

((انظر ايها الصياد! كان بمقدوري ان افر منك، وكان يستحيل عليك اصطيادي، لكنني اعجبت بنبلك، كان في مقدورك ان تطلق النار علي، لكنك لم تفعل ما الذي كنت ستجنيه لو فعلت؟ الهنا يساعدنا عند الشدائد، فجأة احسست بتحولات في جسدي طال شعري، قوائمي الامامية، اصبحت ذراعين، تساقط الشعر من جسدي، وظهر لي صدر ناهد، قوائمي الخلفية تحولت الى ساقي امرأة حينما كنت اتأمل هذه التغييرات الطارئة على جسمي، رايتك امامي!! لحظتها تولع (مدحت باشا) عشقا بهذه (الفتاة الغزالية)، احتواها بين ذراعيه وهو يتذكر (مريام) الفتاة الباريسية، التي تعرف عليها عند وجوده في باريس، فجأة، مر من امامه، شيخ من شيوخ البكتاشية، فاحس (مدحت باشا) بالخجل ان يراه الشيخ مع (الفتاة الغزالية)، الا ان البكتاشي خاطبه قائلاً: يا بني! هذه الفتاة هي من نصيبك، فلم الخجل؟ خذها الى منزلك: انها تنتظر منك ذلك.. (فز مدحت باشا من نومه وهو فزع خائب حزين لان معشوقته كانت حلما، في الصباح الباكر قصد تكية احد شيوخ العلويين قوبل هناك بما يستحق من تقدير واحترام، كل من كان في التكية يبدو ممتنا لزيارة الوالي، قال له المريدون: شيخنا معتكف في الداخل، سنبلغه بزيارتك، بعد لحظات ظهر الشيخ من وراء الستار مرحبا بالوالي: مرحبا بك ايها الصديق العزيز قل ما الذي يشغل بالك؟ حدثه (مدحت باشا) عن حلمه الغريب، طالبا منه تفسيره، قال له الشيخ بعد ان مسد لحيته عدة مرات: (انه حلم مبارك يا سيدي، ستتزوج هنا في بغداد، وستشرب من نبع المحبة هنا، وباذن الله ستنجب منها ذكرا، عليك ان تسميه (على حيدر).

سيرتفع نجمك عاليا، وستبلغ ذروة الحكم، فيما بعد ستتعرض الى متاعب والام كثيرة ادعوا الله ان يمنحك الصبر على الشدائد والملمات! كان هذا الحدث مهما في حياة مدحت باشا، علما بانه سبق له ان تزوج وهو في الخامسة والعشرين من زوجته (نعيمة)، رزق منها ببنت، تزوجت في سن مبكرة، كان (مدحت باشا) يرغب بولد يخلف ذكراه، وبدأ هذا الامر اكثر الحاحا بالنسبة له في بغداد، حيث بدأ العديد من معارفه والمقربين منه يوصونه بالزواج ثانية، وكانت هناك الكثير من العوائل الميسورة توجه الدعوة له، لعله يختار واحدة من بناتها. ولم تكن زوجته (نعيمة) تمانع في زواجه من امرأة اخرى، بل كانت تشجعه قائلة: وماذا في ذلك يا باشا! لقد تجاوزت الاربعين ولم يعد بامكاني ان انجب لك بعد هذا العمر. لماذا لا تختار لك زوجة من عائلة كريمة المحتد والنسب انت الان في الثالثة والاربعين ولا تزال شابا كان مدحت باشا يرغب بذلك، لكنه لم يفصح عن رغبته لزوجته حرصا على مشاعرها. لكنه سعد بسماع موافقة زوجته على زواجه للمرة الثانية. وبدى له لحظتها نهر دجلة واشجار النخيل اكثر جمالا وسحرا.

حضر مدحت باشا ذات مساء وليمة اعدها على شرفه احد اثرياء بغداد الميسورين من (ال النقيب) في مزرعته القريبة من نهر دجلة في تلك الاثناء تعلقت عيناه بوجه فتاة جميلة، بيضاء البشرة، يزيدها خمارها الاخضر جمالا فوق جمالها الاسر. ما اثار استغراب مدحت باشا ان الحسناء الفاتنة تبادله النظرات خلسة، لاحظ مضيفه البغدادي نظرات الاعجاب التي يتأمل بها مدحت باشا الفتاة التي تقوم على خدمتهم قال له الشريف البغدادي: مولاي انها تدعى (شهربان) وهي بمثابة ابنتنا فهي رغم اصولها الشركسية الا انها تطبعت بطابعنا وتقاليدنا، وهي تتحدث العربية مثلنا تماما خرجت (شهربان) من الغرفة وقد تضرجت وجنتاها بلون الورد، لم يستطع مدحت باشا ان يخفي اعجابه بها: انها فعلا جميلة للغاية – اننا نحبها كثيرا، طلب يدها الكثيرون لكننا رفضنا لحبنا لها ولاخلاقها الحميدة الراقية، ثم التفت صاحب البيت الى زوجته قائلا: اليس كذلك يا خديجة؟ قولي انت ايضا شيئا قالت زوجته: يا باشا، شهربان بمثابة ابنتنا، وبقدر حبنا لبغداد فهي تحب اسطنبول ايضا، اكتفى الباشا بالقول: على بركة الله.

كانت زوجته (نعيمة) تصغي بهدوء الى ما يتحدثون به، وكانت بدورها قد اعجبت بجمال شهربان الفاتن، دون ان تشعر باي بادرة من بوادر الغيرة، رغم انها تصغرها بخمسين وعشرين عاما. بعد ايام عقد (مدحت باشا) قرانه على العراقية (شهربان) وقد حضر الحفل المتواضع الذي اقيم بقصر الولاية، نخبة من الضيوف كانت (شهربان) تحتمي به في الايام الاولى من الزواج وكانه والدها الا انها بعد ايام لم تعد تشعر بفارق السن بينهما بعد ان اغرقها مدحت باشا بعواطفه الجياشة.

عذابات الفراق

في تلك الفترة كانت الدسائس في اسطنبول، تحاك ضد اصلاحات مدحت باشا في بغداد، الى اين يقود باصلاحاته العراق؟ وماذا اذا اعلن غدا الاستقلال عن الدولة العثمانية؟.

وكان الصدر الاعظم (محمود نديم باشا) هو الذي يوعز صدر السلطان ضد (مدحت باشا) بالدسائس والتامر. لم يتحمل (مدحت باشا) هذا الجو التآمري كثيرا، وفضل تقديم استقالته. اختاره السلطان (عبد المجيد) صدرا اعظم (رئيس وزراء) بدلا من محمود نديم باشا عام ١٨٧٢ الا انه عزله بعد ثلاثة اشهر لميوله الاصلاحية ومحاولته سن قوانين تحد من صلاحيات السلطان. وقد أوعز نديم باشا صدر السلطان بالسوء ضده، كما اصبح (مدحت باشا) مرة ثانية صدرا اعظم في ١٧ كانون الاول ١٨٧٩ من قبل السلطان

حضر مدحت باشا ذات مساء وليمة اعدها على شرفه احد اثرياء بغداد الميسورين من (ال النقيب) في مزرعته القريبة من نهر دجلة في تلك الاثناء تعلقت عيناه بوجه فتاة جميلة، بيضاء البشرة، يزيدها خمارها الاخضر جمالا فوق جمالها الاسر.

(عبد الحميد الثاني) الا ان محاولته اعداد مشروع جديد للدستور (قانوني جديد) اثار عليه حفيظة السلطان الذي طلب ترجمة الدستور الفرنسي، واضاف اليه المادة ١١٣ التي تعطي للسلطان صلاحية نفي الاشخاص الخطرين على امن وسلامة الامبراطورية وبذلك اصدر الدستور الذي عرف بالقانون الاساسي في ٢٣ كانون الاول ١٨٧٦، وقد قام السلطان بعزل (مدحت باشا) من منصبه في ٥ شباط ١٨٧٧ حيث عينه عام ١٨٧٨ واليا على سوريا، الا انه عزله من منصبه بعد ان نجح نديم باشا بالوشاية به عند السلطان عبد الحميد، واتهمه بانه المسؤول الاول عن اغتيال السلطان عبد المجيد، اضطر مدحت باشا الى الفرار مع زوجتيه واطفاله الى مدينة (ازمير) ومنها لجأ الى القنصلية الفرنسية في ١٨٨١، لكن القنصلية سلمته للسلطات العثمانية بعد وعد السلطان بانه لن يقتله وسيحاكمه محاكمة عادلة. بعد استسلام (مدحت باشا) تمت محاكمته في قصر يلدز. وقد ادانته المحكمة باغتيال السلطان عبد المجيد، فصدر الحكم بنفيه الى مدينة الطائف. ظلت زوجته العراقية (شهربان) وفية لزوجها، رغم كل الظروف والدسائس التي مر بها. وقد بعثت برسالة الى صديق العائلة (كيليكيان واصف افندي) تعبر فيها قلقها على مصير زوجها.

(السيد المحترم واصف افندي، ابني (علي حيدر) مريض جدا، كما ان (مسرورة) مريضة هي الاخرى، لا اعلم ماذا عنه افعل ارسلت رسالة استعطاف الى القصر ولكن دون جدوى).

كما بعث (مدحت باشا) رسالة بدوره الى واصف افندي قبل يوم واحد من مقتله في الطائف، (لم يعد ثمة امل اذا لم يفلحوا في تسميمي، سيقومون بحبسي في زنزانة انفرادية، وهناك سيستطيعون بكل يسر في القضاء علي).

رسائل الموت

وعندما احس مدحت باشا بدنو اجله، كتب من الطائف رسالته الاخيرة الى زوجتيه، وهي بمثابة وصيته الاخيرة: (زوجتي العزيزتين نعيمة وشهربان، ابنتي العزيزة ممدوحة، ولدي الحبيب علي حيدر، انبتي العزيزتين، وسيمة ومسرورة ليحميكم الله جميعا ما دام لم يبق ثمة عائق من ذهابكم الى اسطنبول، ارجو ان تبيعوا كل ما تستطيعون الاستغناء عنه في ازمير. ارجو ان تستغنوا عن خدمات من هم فائضين عن الخدمة كما ارجو ان تقطعوا علاقاتكم مع الاعداء الذين هم في هيئة اصدقاء. حاولوا ان تعيشوا بسلام ليتعلم ابني علي حيدر، حفيدي كمال، ابنتي وسيمة التركية، وليذهبوا الى المدرسة التي في الحي. بعد ان يتعلم علي حيدر العلوم الدينية، ابعثوه للدراسة في المدرسة السلطانية، بعد ذلك ابعثوه ليتعلم فنون التجارة لدى تاجر اياكم ان تتركوه يتجه للوظائف الحكومية. لست مدينا لاحد ما عدا التاجر خويستاكي، بالفين وخمسمائة ليرة، والى طيفور افندي بخمسين ليرة سددوا هذه المبالغ بعد استحصال الدين الذي استدانه مني كيورك الصراف. لا تأسفوا ولا تحزنوا على شيء الله سيغفر سيدتي ان وجدت. انتم ثروتي المعنوية في هذه الحياة، لا تجرحوا احدا بكلمة، اتركوا كل شيء للعدالة الالهية، لكي لا يصل الختم الذي يحمل اسمي ليد الاعداء، القيته في البحر عندما كنت في طريقي الى ازمير، خشية ان يقع في يد احد قد يريد شرا باولادي، لهذا لا تخشوا شيئا، لا تقيموا على قبري شاهدة مذهبة، بل ارجوا ان تكتبوا عليه بخط اسود:

((هذا قبر مدحت باشا الذي ذهب ضحية جهوده الكبيرة في سبيل الوطن)).

الرسالة الاخيرة

في الليلة التي تقرر فيها قتل مدحت باشا بالطائف، دخل القتلة غرفته واحاطوا به من كل جانب معتذرين : (اعذرنا نحن ننفذ الاوامر). هجموا عليه هجمة رجل واحد، امسكوا بقدميه ويديه، لم يقاوم ترك نفسه للجلاد، ادخل المدعو اسماعيل الحلاق، الحبل المغموس في الدهن والصابون في رقبته، وبدا يشده بكل قوته، ازرق وجه مدحت باشا وجحظت عيناه، اختلجت اطرافه عدة مرات، ثم توقفت انفاسه، عندما هاجم الجلادون مدحت باشا سقطت من جيبه محفظة، وضعها احد الجلادين ويدعى ابراهيم الشركسي في جيبه، املا ان يجد فيها مالا كثيرا، لكن المحفظة لم تكن تحتوي الا على رسالة، انها اخر رسالة بعثتها شهربان العراقية الوفية الى زوجها مدحت باشا:

((زوجي وسيدي الحبيب: لا اعلم ان كانت هذه الرسالة ستصلك ام لا، لقد مرت ثلاثة اعوام على رحيلك من بيننا انتزعوك من بيتنا الهانئ، وعشنا السعيد، وقذفوا بك الى الصحراء الثانية لماذا فعلوا كل ذلك؟ هل الاخلاص للوطن اصبح تهمة يعاقب عليها المرء؟ لقد عملت من اجل الوطن، وسرت دون تردد في الطريق الذي امنت بصوابه، لقد ارادوا اسكات صوتك، لكنك ظللت تصرخ بالحقيقة التي امنت بها لم يستطيعوا شراءك بالمال والهدايا والنياشين والرتب. لم ننساك يا باشا ! الكل يتحدث عنك بمودة، لكنك لا تسمعهم، انه الصمت الذي يسبق العاصفة، العاصفة التي ستقتلع كل شيء وسوف لن يرى قصر (يلدز) النور في العاصفة الهوجاء، بعدها سيعود الهدوء والضوء الى كل مكان. وكما كتبت في يوم ما، فالشمس ستشرق من الغرب! سيدي الحبيب، زوجي العزيز، ادين اليك بمعرفتي كل شيء لقد كانت حياتي قبل ان اعرفك مسورة باسوار حديقة البيت الذي كنت اعيش فيه ببغداد كنت مجرد فتاة عراقية ذات اصول شركسية، كان من الممكن ان ابقى هناك الى الابد، لكنك اكتشفتني وعلمتني كيف اميز بين الجمال والقبح بين الخطأ والصواب، علمتني كيف افكر، علمتني ان لكل سبب مسبب، وان الانسان يستطيع ان يوجه الاحداث ويتقدما، علمتني ان الحياة جميلة، ويجب ان نعيشها كما يقال بالطول والعرض، كيف نستطيع ان نعيش بدونك يا زوجي الحبيب؟.. صوتك لم يغادر سمعي قط، كيف نستطيع ان نعيش بدونك؟ لست انا وحدي بحاجة اليك، بل المجتمع هو باشد الحاجة اليك والى افكارك نسيم البحر لم يعد يهب في (ازمير) منذ رحيلك، كما ان الشمس لم تعد تغيب وراء الافق القرمزي كعادتها، لم نعد نسمع زقزقة الطيور، ولم يعد يصلنا شذى الياسمين. تعال! لنشرق الشمس في حياتنا من جديد، لا تتركنا لوحدنا ياسيدي، لا تدع للتشاؤم سبيلا الى ذاتك، بل ارجوا ان تؤمن ان انوار المشاعل ستضيء في كل مكان قريبا، آه لو تدري ياسيدي الشائعات التي تدور، وحديث الافواه الكريهة عنك! سيدي وزوجي الحبيب بلغ ابننا (علي حيدر) الثانية عشرة من العمر، وهو يحاول ان يقتدي بسيرتك دائما، اما (وسيمة) فقد بلغت السادسة، لو رأيتها فسوف لن تتركها من بين ذراعيك. اما (مسرورة) فهي لا تتذكرك ابدا، لانها كانت في الشهر الثالث حينما غادرتنا، انها مطيعة وذكية، الكثيرون يشبهونها بك، نعيمة خانم متعبة جدا وحزينة، لقد حطمها فراقك، انها ترفض الحديث الى احد او الخروج من البيت، لقد انقض من حولنا من كنا نعدهم اصدقاء، اصبحنا خطرين بالنسبة لهم، لايهم، ليفعلوا ما يحلوا لهم.

زوجي الحبيب: لقد اعدت ملابسك بعد ان عطرتها ووضعتها في درج خزانة الملابس كما وضعت في البوفيه، فناجين القهوة التي تحمل صورتك، والاقداح الصغيرة التي كنت تتناول فيها الكونياك، لا تزال نصف قنينة الكونياك نصف مليئة كما تركتها في تلك الليلة المشؤومة، وكأنك ستعود غدا، زوجي الحبيب اريد ان اعترف لك بشيء ارجوا ان لا تسخر مني لقد اشتقت الى دفئك اخجل من كتابة ذلك، واخشى ان يقرأ هذه الرسالة شخص آخر قبل وصولها اليك، ولكن لم يعد يعنيني ان يعرف مخلوق ما يعرفه رب العالمين!

سيدي: قلبي وروحي وعواطفي في انتظارك، احتضنك بشوق ولهفة، تعال تعال تعال!..

زوجتك المخلصة
شهربان

السلطان عبد الحميد

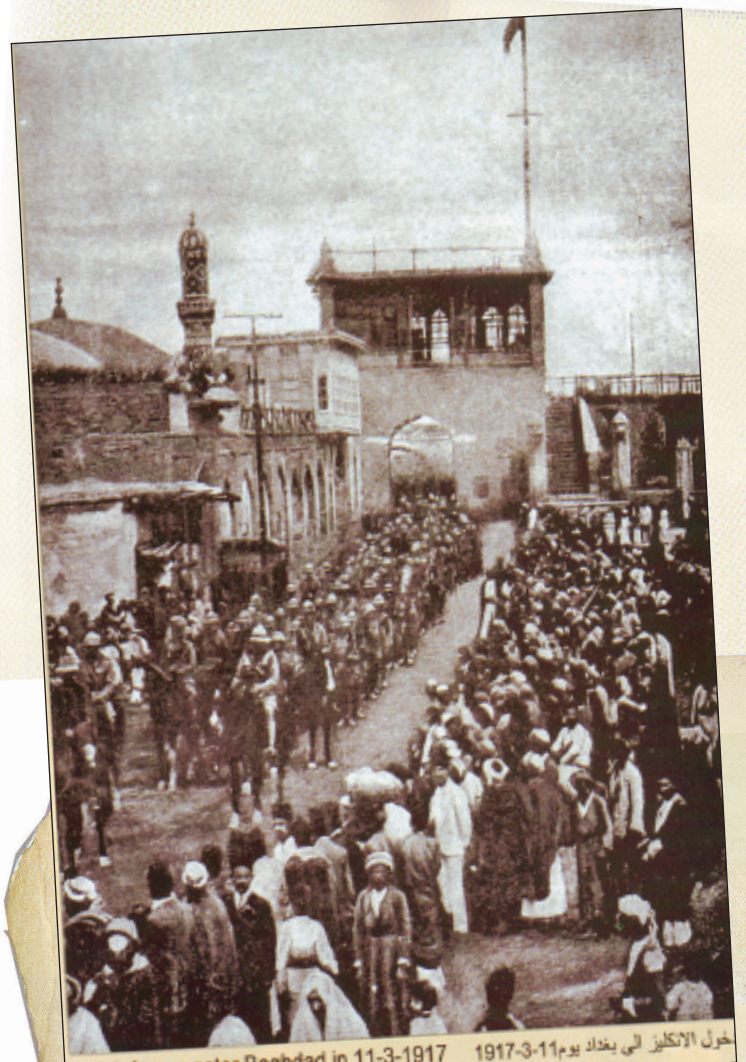

British forces enter Baghdad in 11-3-1917 دخول الانكليز الى بغداد يوم1917-3-11

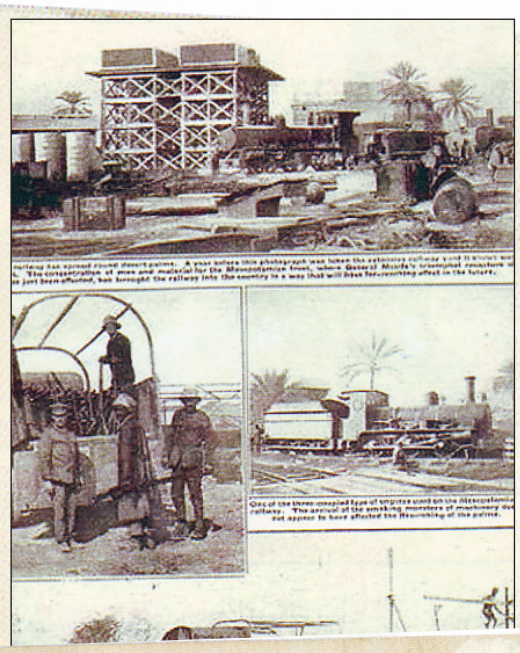

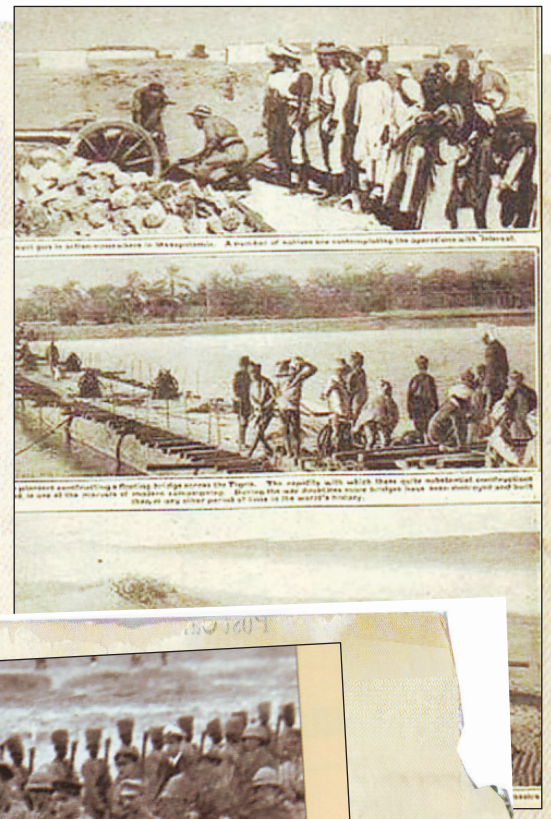

جنازة الجنرال ستانلي مود القائد العام للقوات البريطانية في العراق. توفي يوم 18-11-1917 بمرض الكوليرا ودفن في بغداد

لقطات من دخول القوات البريطانية العراق
1914 - 1918

بعض اللقطات مأخوذة من كتاب العراق لعامر بدر حسون

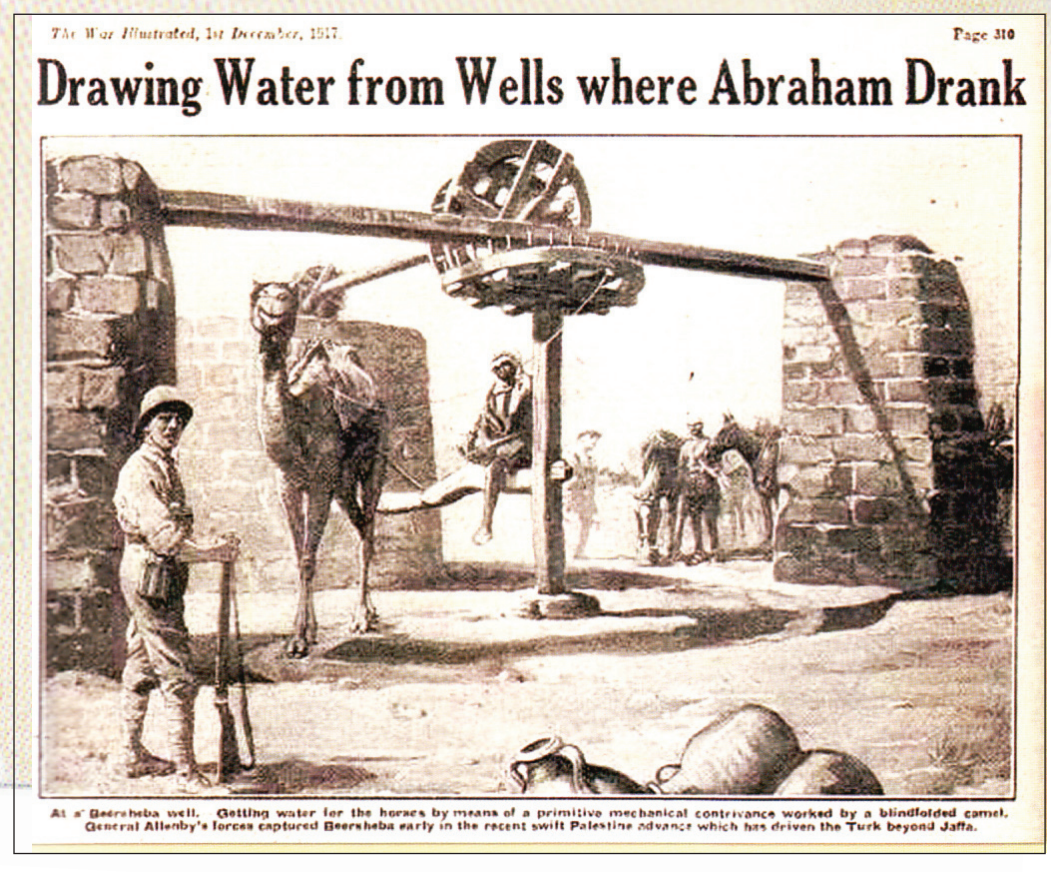

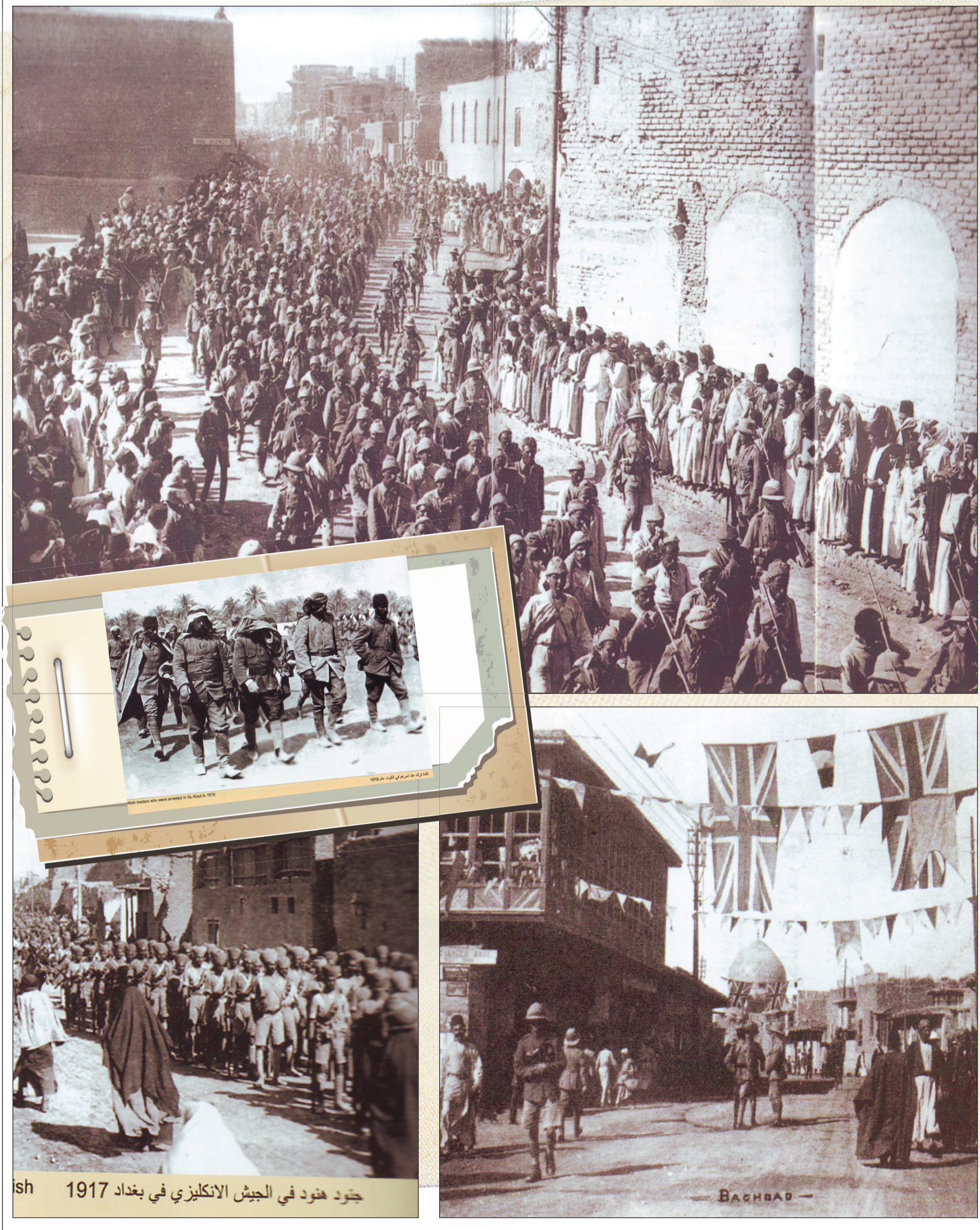

قادة اتراك عند اسرهم في الكوت عام 1916

rkish leaders who were arrested in AL-Kout in 1916

جنود هنود في الجيش الانكليزي في بغداد 1917

ish

BAGHDAD

مقهى الزهاوي

حسين حاتم الكرخي
باحث بغدادي راحل

يا زائراً هذه المقهى ترى عجباً
فيها من العلم والتاريخ فرساناً

ابتداءاً نقول ان (المقهى) اسم مكان مذكر، وان معاملته – من قبل بعض الكتاب الافاضل – معاملة الاسم المؤنث خطأ شائع، كما ان اطلاق صفة (التراث) عشوائياً على هذا المقهى او ذاك خطأ فادح آخر، فالقدم شيء، والتراث شيء آخر، فهو يعني الاثر الذي تمضي عليه فترة زمنية طويلة ويبقى محتفظا بأصالته وطابعه دونما تحوير او تغيير، كالآثار والمباني الشاخصة، والفنون على اختلافها والاداب والموسيقى والغناء والامثال والكنايات وباقي الموروثات الشعبية، فـ(مقهى الزهاوي) وسائر مقاهي بغداد الاخرى ك (مقهى سبع) بمكان المدرسة المأمونية في الميدان، و(مقهى وهب) الواقع في باب (القلعة)، و(مقهى عزاوي) في محلة البقجة، و(مقهى كلوزير) اي الوزير الاقرع، بجانب باب وزارة الدفاع الحديثة، و(مقهى المميز) على رأس جسر الشهداء القديم في الرصافة، ومقهى (القراءة خانة) قرب باب المعظم الذي هدم في العهد الملكي، و(مقهى العنبار) الواقع في المصبغة، و(مقهى البلدية) في الميدان، و(مقهى الملا حمادي) الواقع في محلة المربعة، و(مقهى العبد) في البتاوين، و(مقهى التبانة) في محلة الفضل، و(مقهى سيد بكر) في محلة البقجة، بجوار باب القلعة، وغيرها من مقاهي الرصافة، و(مقهى البيروتي) على كتف دجلة، قرب رأس جسر الشهداء في الكرخ، و(قهاوي عكيل)، و(مقهى العكامة) و(مقهى ابو القاسم) وسائر مقاهي جانب الكرخ، تعتبر جميعها من المقاهي القديمة، ولايصح اعتبارها من المقاهي التراثية، لأن اقدمها لايزيد عمره على قرن من الزمن، وكمثال على مقاهي بغداد التراثية التي انشئت قبل نيف وثلاث مئة سنة، مقهى (خان جغان) الذي انشيء في عهد الوالي العثماني (جغالة زادة سنان باشا) عام ١٥٩٠م، والذي ازيل فيما بعد وحل محله (سوق دانيال) المخصص لبيع الاقمشة على اختلافها، والذي ما يزال قائما، وحتى الان، وكان هذا الخان مجمعاً لصاغة الفضة الذين انتقلوا الى اماكن اخرى، والمقهى التراثي الثاني مقهى جامع الخفافين، الواقع في سوق الساعاتية اقرب المدرسة المستنصرية، الذي تأسس قبل اكثر من ثلاثة قرون، ومازال قائما بنفس طرازه المعماري، بجوار جامع الحظائر التاريخي الذي انشأته (زمزد خاتون)، أم الخليفة العباسي الناصر لدين الله.

ولابد لنا، ونحن نتحدث عن مقاهي بغداد القديمة ان نذكر ما كتبه المرحوم الرصافي عن المقاهي البغدادية قبل قرن من الزمان من خلال الذكريات التي كشف عنها الباحث الاستاذ عبد الحميد الرشودي في جريدة (الاتحاد) الاسبوعية، قبل بضعة اعوام، (كانت تقدم للزبائن القهوة و(النركيلة) وشربت الورد والحامض، وفي الصباح الباكر كان الناس يخرجون لصلاة الفجر او للحمامات وكانوا يعرجون على المقاهي فيقدم لهم السحلب مخلوطا بالحليب بكاسات من الفخار، لم يكن الشاي معروفاً وقت ذاك ولعل اول من صنعه وباعه صاحب مقهى كائن في باب وزارة الدفاع القديم يدعى (كلوزير) اي الوزير الاقرع، لانه كان اقرع بالفعل، يبيع الشي بـ(استكانات) زجاجية كما هو الان، والشاي نوعان اما (خالدار) او اخضر، وكان طويل الورقة حيث تبقى وريقات منه في قرارة (الاستكان)، وكان طعمه زكياً للغاية والانسان يشتهي شربه، ثم شاع استعماله وتوسع الى ان وصل الى الحالة التي نحن عليها).

والان نعود الى مقهى الزهاوي فنقول:
مقهى البيروتي – كما هو معروف – من اشهر المقاهي القديمة في الكرخ، وكان في اول تأسيسه مجمعاً لتجار الحبوب والاخشاب والاغنام، يتداولون فيه امورهم التجارية بهدوء وسكينة وكأن على رؤوسهم الطير – بغداد القديمة، العلاف – يوازيه في الشهرة مقهى الزهاوي في الرصافة، الذي كان يسمى باسم صاحبه (امين) قبل جلوس الزهاوي فيه.

الكلام يوحي الى ان التسمية اطلقت مع جلوس الزهاوي في المقهى والصحيح ان التسمية اطلقت في الايام القليلة التي تلت ليوم وفاة الزهاوي في ٢٣ شباط ١٩٣٢، وقد نشرت جريدة البلاد ما يفيد ان المقهى الذي جلس فيه الشاعر سمي باسمه وكما سمي الشارع الذي تقع داره فيه. ثم تعاقب على ادارته اشخاص عديدون، كان اخرهم سلمان داود الكندير، المتوفى في اوائل عام ١٩٨٧، وهو مالك المقهى والطابق الذي فوقه، يقع هذا المقهى ضمن حدود محلة جديد حسن باشا، وفي الركن الايمن من نقطة التقاء شارع حسان بن ثابت بشارع الرشيد، الذي يقع مقهى عارف أغا، على رصيفه الثاني، حيث يجلس الشاعر الرصافي وجماعته، حدثني الاستاذ الرشودي قال حدثني مصطفى علي قال: ان الشاعر الزهاوي كان يرتاد هذا المقهى يوم كان مجرد سقيفة بسيطة، وحين تغير طراز بنائه الى ما هو عليه الان، لم يعد يجلس فيه كثيرا، بسبب تدهور صحته واصابته بشلل جزئي، وكان بقصده على اتان بيضاء، انيقة البرذعة، يربطها خارج المقهى ويدخل متثاقلاً ليأخذ مكانه المعهود.

ذكر الاخر بكر مصطفى السالم في مقال لم ينشر له – اطلعني عليه – (ان موضع المقهى الحالي كان مقاما لقبر – لا اعرف لمن – والطابق الذي فوقه كان مدرسة اولية ذات اربعة صفوف، تدعى (المدرسة الحيدرية الوقفية)، وكنت احد تلاميذها في عام ١٩٢٨م، ومن زملائي – كما اتذكر – الصحفي يحيى الدباغ – ابن مختار محلة جديد حسن باشا، والمغني يوسف عمر، والشقي النائب محمود قرداش، والاستاذ محمود المان – بتفخيم وتحريك اللام – وكان مديرها فائق افندي والد الممثل يحي فائق، واتذكر من مدرسيها الرسام ناصر عوني، وحسن افندي.

وقد اختلف الباحثون في تاريخ تأسيس المقهى، فالعلاف في كتابه (بغداد القديمة) لم يذكر هذا المقهى من بين المقاهي البغدادية التي كانت قائمة في العهد العثماني الاخير والى تاريخ سقوط بغداد عام ١٩١٧م بينما ذكر الاخ زاهر عبد المجيد زيدان في

(الف باء) بتاريخ ٢٥ أذار ١٩٨٧م.
(ان المقهى تأسس قبل عام ١٩١٧م وقد يرجع الى مئة عام، وانه كان موجوداً قبل فتح شارع الرشيد)، مستندا الى قول احد المعمرين من جلاس المقهى، والراجح لدينا انه هدم كسقيفة واعيد بناؤه بطرازه الحالي بعد احتلال ودخول حديد (الشيلمان) في التسقيف، خلال سني العشرينات الاخيرة.
وعلى أية حال فان عدة اجيال ادبية وثقافية وسياسية وصحفية انتابت هذا المقهى. ويقال ان الزهاوي كان يدبج ردوده الشهيرة على (عباس محمود العقاد) في هذا المقهى، تلك الردود التي نشرتها صحف بغداد والقاهرة في الثلاثينات، ويقال ايضا ان الزهاوي استقبل فيه شاعر الهند الكبير (طاغور) عام ١٩٣٢م. وعلى حد علمنا فان عددا من اعيان البلد استقبلوه في محطة قطار شرقي بغداد، لمجيئه من ايران عن طريق خانقين، وكان من ابرز مستقبليه، الرصافي والاثري والزهاوي وعبد المسيح وزير وفاضل الجمالي وعدد من الادباء والصحفيين، وقد ذكر ذلك (طاغور) نفسه في كتبه التي اصدرها عن بغداد. وكان للزهاوي عاداته المعروفة في المقهى، فاذا ابدى احد الجالسين اعجابه بشعره، صاح الزهاوي على صاحب المقهى – امين ! لا تأخذ فلوس الجاي! ويروى ان المناقشات الحادة بينه وبين منافسه الرصافي جرت على تخوت المقهى، والتي كانت – حسبما هو شائع – بتحريك من المرحوم احمد حامد الصراف، حين اطلع الزهاوي – بحسن نية – على ملاحظات وهوامش الرصافي المدونة بخط يده على صفحات ديوان الزهاوي، ويقال ان الدكتور احمد سوسة كتب مباحثه عن محلات بغداد القديمة، مما سمعه من افواه المعمرين من جلاس المقهى.
وكان القزم الداهية (خليلو)، والمكنى بـ (ابو راسين) من رواد هذا المقهى وغيره من مقاهي الميدان والحيدرخانة، وكان محدثا، خبيرا بفنون الغناء والموسيقى وبخاصة المقام العراقي، وحين زارت (ام كلثوم) العراق عام ١٩٣٢م، سمعت به وقابلته، واعجبت باجتماع النقيضين في شخصيته، قصر قامته وطول باعه في فنون الموسيقى والغناء، وطلبت منه مرافقتها الى مصر للاستفادة من خبرته، ولكنه اعتذر بلباقة، وكان (خليلو) يجالس الوجهاء والسياسيين والادباء والصحفيين داخل وخارج المقهى، وكان نوري ثابت (حبزبوز) يعتبر (خليلو) استاذه في فن الموسيقى، وهو يلقي عليه درساً في الموسيقى لمدة ساعة عصر كل يوم – جريدة حبزبوز العدد ١٣٢ الصادر بتاريخ ٥ حزيران ١٩٣٤.
وكان رئيس الوزراء نوري السعيد يرتاح له، ويستلطفه ويحاوره في اصول المقام العراقي، وفي ذات يوم مر بسيارته من امام المقهى، فتوقف وطلب (خليلو)، وبعد ان تحدث معه ملاطفاً ومناقشاً دس في جيب دشداشته مبلغاً من المال وانصرف". واذكر من جملة الفنانين والادباء والشعراء الذين جالستهم في هذا المقهى الاساتذة، كامل خميس الشيخ رفيع، وحكمة فرج البدري، وعبد الرزاق السامرائي، وجميل الطائي، وعبد الوهاب بلال، وسلمان التكريتي، وعبد الوهاب الشيخلي، وخضر الولي، ومحمد المبارك، وخضر الصالحي، وابراهيم عبدالرحمن الخال وغيرهم.
وكان الصديق الشاعر انور عبد الحميد السامرائي – المدافع النشط عن المقهى – قد نظم قصيدة فيه، اذكر منها هذين البيتين:

يازائراً هذه المقهى ترى عجباً
فيها من العلم والتاريخ فرسانا
الطب فيها وموسيقى وفلسفة
والذاكرون مساءً ربي احيانا

والذي يجيل بصره في اركان المقهى يلمح اعضاء فرقة الزبانية للتمثيل، يلقون بها للراحة والاستجمام والتداول في شؤون الفرقة، وهم الحاج ناجي الراوي وفخري رسول الزبيدي وناظم الغزالي وحميد المحل ومحمد القيسي وحامد الاطرقجي وجميل الخاصكي وشهاب القصب وغيرهم. ومن الصحفيين – لقرب ادارات صحفهم ومطابعهم من المقهى: نوري ثابت، صاحب جريدة (حبزبوز) الفكاهية، وعادل عوني، صاحب جريدة (الحوادث) – وتوفيق السمعاني، صاحب جريدة (الزمان)، والشاعر الكرخي الذي كان يكتب الشعر احياناً في المقهى وان كان قهوته المفضلة (البيروتي) في جانب الكرخ.
ويروى ان بعض المستشرقين والشخصيات الاجنبية كانوا يزورون المقهى، ومن ابرزهم (وندل ويلكي) مرشح الرئاسة الامريكية عام ١٩٤٢م والذي كتب خواطره عن بغداد، والتي ضمنها كتابه الشهير (عالم واحد) في هذا المقهى وغيره.
وتجدر الاشارة الى ان احمد حامد الصراف قال في مقال له عن لقاء الصلح بين الزهاوي والرصافي (وقد انتقل مدعوو لقاء الصلح من مقهى الزهاوي الى دار محمود صبحي الدفتري، وهناك تم الصلح بين الشاعرين).
قلت: ان هذه المصالحة لم تتم حسبما حدثني المرحوم قدري عبد الرحمن (المصور الاهلي) الذي قام والده بالتقاط صور اللقاء في بيت الدفتري، لتمسك الرصافي بموقفه من الزهاوي، واصراره على شروطه التي دونها بصراحة في رسالته الموجهة الى الدفتري، ومنها: (انا نازل عند رغبتكم وان كنت كما قيل (مكره اخاك لا بطل)، واذا اختل الشرط (لاخطاب ولاعتاب مع الزهاوي) فلي الحق حينئذ ان اترك المجلس واخرج، واذا منعني الحياء من الخروج فلا اقل من ان يكون لي الحق في الاستمرار على ما كنت عليه من قبل، بعد انقضاض الجمع.. الخ). وانهما كانا كما قال الشاعر العربي:

ان القلوب اذا تنافر ودها
مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ولكن الاستاذ عبد الحميد الرشودي، المعني بادب الرصافي بعد مصطفى علي، ذكر لي: (ان الصلح يعتبر تاما لمجرد موافقة الرصافي على الحضور، ولكنهما عادا بعد ايام الى ما كانا عليه من خصام، وان الزهاوي غادر الى دار البقاء وهو على خصومة مع الرصافي).
ومما يعرض لنا حول المقهى، ان محاولات ومساعي حثيثة جرت في اواخر عام ١٩٨٦م لضم المقهى الى (مطبعة بين النهرين)، فانبرى عدد من الادباء والصحفيين لافشال هذه المحاولات، وتكللت جهودهم بالنجاح، بصدور البيان الاتي المنشور في الجريدة الرسمية (الوقائع العراقية) بعددها المرقم ٣١١٦ والمؤرخ ١٩٨٦/٩/٢٢:
(تكون مقهى الزهاوي خاضعة للعادة الثامنة من قانون الاثار رقم ٥٩ لسنة ١٩٣٦ المعدل، وهي من الاماكن التراثية).
وعلى اثر ذلك علقت لافتة من القماش الوردي اللماع على واجهة المقهى، تحمل هذه العبارة:

عن كتاب مجالس بغداد " الجزء الثاني"

من رسائل نوري السعيد الى ناجي شوكت وارائه

ازهر الناصري
باحث ومؤرخ

نوري السعيد شخصية سياسية فريدة من نوعها فهو في حركة دائبة وطموح لكسب ثقة الانكليز بل ومحاولة اقناع الحكومة البريطانية في ارائه السياسية في العراق لاعتقاده منفعة للكل! ومع ذلك رفضت بعضها من قبل الانكليز يقول ناجي شوكت في كتابه سير وذكريات كان نوري السعيد يخشى شخصيتين تنافسه في صداقة بريطانية واخرى تنافسه بوطنيتها واخلاصها لبلادها:

نوري السعيد

نادجي شوكة

الرسالة الاولى

في بغداد ٢٩ تموز ١٩٣٤ اخي ناجي شوكت اشكرك على كتابك وما حواه من شعور الوداد والاخلاص وكنت خلال هذه المدة مشغول البال جدا وعلى ما يظهر لي ان الاخطار بازدياد ولا اعلم طريقة للتغلب عليها...
١. روح الطائفية بتوسع هائل في الوية الفرات والانفجار يحتاج لحادث طفيف هذه خلاصة اراء الموظفين المعّول عليهم.
٢. اشتدت الدعاية ضد الملك بشكل خطير وكذلك علي جودت باتهامهم له بالمقامرة وجر النقود من الخزينة الخاصة والخ..

الرسالة الثانية

في بغداد ٥ ديسمبر ١٩٣١ جاء بها اخي ناجي بك تاخرت بالرد عليك وباعطائك الاخبار عن حالتنا الحاضرة التي اصبحت غير مرضية ولا اكتم عنك يأس من الاصلاح او الاتجاه الى الاصلاح –ثم يقول– واخر ما حدث هو قضية الانتخابات وسوف ترى نتائجها وهكذا خلت الدار ممن يحميها واصبحت الواوية كما يقولون تنهش وتاكل كما تشاء وتريد!
الرسالة الثالثة من الطيارة ١١ شباط ١٩٣٥ اخي ناجي اسف لكتابتي على هذه الورقة وبهذه العجلة لانني في الجو طائرعائد لبغداد وفي اخر الرسالة الاحوال في بغداد غير واضحة ويظهر لابد من تبدل الوزارة بشكل من الاشكال طلبوني في بغداد والحوا بالطلب وبسرعة اني لم ازل بفكري القديم ولابد من دخولك الى الوزارة وفي الداخلية اؤمل ان اخبرك بذلك قبيل وصولي لبغداد وادرس موقف العراق والمشاكل: وفي ١٩ حزيران ١٩٤٠ قرر مجلس الوزراء ايفاد كل من وزير الخارجية نوري السعيد ووزير العدلية ناجي شوكت الى تركيا لدراسة الوضع بعد دخول ايطاليا الحرب وصل القطار طوروس الى محطة حلب كان في استقبالهما كلا من تحسين قدوري قنصل العراق العام في لبنان وعلي جودت ويقول ناجي شوكت كان جودت يحمل حقيبة صغيرة بيده فقال لي نوري السعيد ان علي جودت سيصحبنا الى انقرة فسألته باية صفة سيكون معنا؟ فاجاب كعضو ثالث في الوفد فقلت له كيف يجوز ذلك ولا يوجد قرار لمجلس الوزراء لاشراكه معنا؟ ولم يسبق لتركية ان احيطت علماً بذاك؟ فرد نوري ان هذه الامور بسيطة يمكن تجاوزها اذا وافقت انت وانا ويعلق ناجي شوكت كان في قرار نفس نوري ان يتخذ من وجود جودت معنا مساعداً له يؤيده في ارائه ومعروضاته وعلى كل رفضت ان يكون الرجل عضوا ثالثا وهددت بالرجوع الى بغداد فتراجع نوري وقال طيب ليكن سفره بصورة شخصية وفي اليوم الثاني وهم في طريقهم الى انقرة قال نوري السعيد: لدي اقتراح اود ان اعرضه على الحكومة التركية ولكني اريد ان اعرف رأيك فيه اجابه شوكت وما هو الاقتراح؟ قال سنتحدث مع رجال تركية عن الوضع في سورية فيما اذا تركها الفرنسيون جبراً واحتلها الانكليز حربا وطلب السوريون الالتحاق بالعراق فما سيكون موقف الاتراك من ذلك واضاف انه ينوي ان يقول لرجال تركية بان الحكومة العراقية مستعدة لان تتنازل عن المنطقة الكردية الشمالية لتركية اذا هم وافقوا على الحاق سورية بالعراق باي شكل من الاشكال. وان الحكومة العراقية مستعدة لاخذ موافقة بريطانية على هذا العمل فاجابه ناجي: نوري هذه مسألة مهمة وخطرة جداً فنحن لا نعلم ماذا سيكون موقف فرنسا وماذا سيكون موقف انكلترا؟ ونحن في بداية الحرب فكيف نسوغ لانفسنا انا وانت ان نتكلم في موضوع مهم وخطر مثل هذا الموضوع مع دولة اجنبية ونقترح التنازل عن جزء من الوطن العراقي؟ فرد نوري اننا سوف لا نوقع عهداً وانما سنتحدث في الموضوع بصورة سرية فقال شوكت بالنسبة اليّ فانا لا اريد ان اتحمل اية مسؤولية في امر خطير كهذا واحذرك من الاقدام على مفاتحة رجال تركية في هذا الموضوع وانتهى الموضوع عند وصولهم محطة قطار انقرة..

وصفي طاهر في لقاء مع كريمته

التقيت السيدة هند وصفي طاهر كريمة الزعيم الشهيد وصفي طاهر المرافق العسكري الاقدم للزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم مؤسس الجمهورية العراقية والذي صاحبه من اول يوم في تاريخ تلك الثورة الخالدة في 14 تموز 1958 والى يوم 9 شباط الاسود بعد الانقلاب الاسود الذي طفر فيه العفالقة الى الحكم بقطار امريكي وبدعم من وزير خارجية امريكا جون فوستر دلس واخوة الن دلس رئيس الـ (سي اي اي) سيء الصيت اللذين ظلا يحيكان المؤامرات على النظام الجمهوري منذ الساعات الاولى لتلك الثورة الجبارة.

لقاء اجراه / حسين الجاف

بعد الترحيب بمقدمها.. سألتها:

× من هو وصفي طاهر؟

– اجابت والدموع تنحدر من عينيها انه انسان عراقي مخلص لوطنه من مواليد بغداد محلة باب الطوب المقابلة لوزارة الدفاع في يوم ١٠ تموز عام ١٩١٨.

فاكتسب الفكر اليساري لكن بدون انتماء حزبي.. وكان من اقرب اصدقائه المرحوم حسين احمد الرضي المعروف بـ (سلام عادل).. انتمى والدي الى تنظيمات الضباط الاحرار الاولى برئاسة المرحوم العقيد رفعت الحاج سري وكان الطابع الفكري لمجموعة المرحوم رفعت هو الفكر العروبي – الاسلامي بيد ان والدي احتفظ بميوله اليسارية المستقلة ضمن ذلك التنظيم.. وفي عام ١٩٥٦ انتمى والدي الى اللجنة العليا للضباط الاحرار.. والتي كان يوجد قبلها تنظيم عسكري اخر مكون من الضباط والجنود من ذوي الميول الشيوعية والتي كانت تصدر جريدة سرية اسمها (الوطن) حاولوا من خلالها استقطاب اكبر عدد من الضباط والجنود من اصحاب الروح الوطنية التقدمية.. وعندما اراد هذا التنظيم التقدمي الانضمام الى جماعة اللجنة العليا لتنظيم الضباط الاحرار الذي تشكل عام ١٩٥٦ لكن هذا التنظيم الكبير لم يقبل التنظيم الاخر الصغير بين صفوفه باستثناء المرحوم وصفي طاهر الذي امل بالتحاقه به ان يعمل كحلقة وصل بين التنظيمين. وقد روت لي المرحومة والدتي بان العديد من اجتماعات الضباط الاحرار عقدت في دارنا.. وكان والدي يلمح لها بعقد الاجتماع دون ذكر التفاصيل ومن باب التعوية كانت والدتي وبتوجيه من ابي تدعو عوائل مختلفة من اقاربنا الى منزلنا للتمويه لكي يظهر للمراقب وكان في الدار احتفالية عيد ميلاد وما شابه.. لان والدي ظل مراقبا من قبل السلطة السعيدية حتى ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨ وفي ليلة ١٤ تموز كانت والدتي ربما الانسانة الوحيدة – التي كانت على علم بان شيئا مدويا للتغيير سيحصل ذلك اليوم بايحاء من ابي – طبعا – فظلت والدتي قلقة جدا طوال تلك الليلة.. وفي صبيحة الثورة اطلقت والدتي زغاريد الفرحة بانتصار الثورة مما اثار دهشة واستغراب خالاتي فقالت لهم كنت على علم بان شيئا عظيما سوف يحدث.

وبعد انتصار الثورة رفض والدي تولي اي موقع لكنه اثر الاحتفاظ بموقع حماية قائد الثورة وحماية منجزاتها.. وكان يأمل كانسان ديمقراطي ان تشكل حكومة مدنية منتخبة ديمقراطيا وان يعود الجيش الى ثكناته لممارسة واجباته في حماية حدود البلاد.. وبحكم قوة الاواصر التي كانت تربطه بقائد الثورة.. كان والدي يتبادل وجهات النظر بخصوص الاوضاع معه ناصحا اياه بتجنب سماع اراء المتزلفين والمتعلقين من الانتهازيين الذين كانوا يريدون اجهاض الثورة وحرف مسيرتها الديمقراطية وكانت هناك بالفعل مجاميع رجعية في الداخل ومجاميع عميلة مدعومة من خارج الحدود تريد وأد الثورة وازالة مكاسبها وفعلا هذا ما حدث صبيحة انقلاب ٨ شباط الدموي الاسود وكان المرحوم وصفي والدنا ينبذ التعصب القومي والطائفي والمذهبي وزرع في نفوسنا نحن بناته حب الوطن وحب الانسان لانه كان يؤمن بالانسان قيمة عليا وانه اثمن رأسمال.. ولكونه يحمل الافكار الانسانية والتقدمية فقد ناصبه الرجعيون العداء لكونه يساريا ويميل الى الشيوعيين وحاولوا ان يعملوا فجوة بين الزعيم وبينه حين اشاع البعثيون في وقته بان عملية محاولة اغتيال الزعيم. كان تدبير وصفي طاهر لانه لم يكن بصحبته اثناء تعرضه الى رصاص من الغادرين في شارع الرشيد بتاريخ ١٩٥٩/١٠/٧ واحتجاجا على ما كانت تحدث من ممارسات خاطئة واساءات الى الحركة الوطنية العراقية ورموزها واطلاق يد الاجهزة الامنية من بقايا النظام السعيدي ضد القوى الديمقراطية في ظل حكم الزعيم.. اثر والدي الانزواء في البيت والابتعاد عن الاضواء.. حتى انه كان يذهب الى موقع عمله يوميا لمدة ساعة واحدة ومن ثم يعود ادراجه الى البيت.. وقد روت لنا المرحومة والدتنا.. بانها كانت تصحو في ساعة متأخرة في الكثير من الليالي فترى والدي مهموما متوتر الاعصاب وذلك في الاشهر القليلة التي سبقت انقلاب شباط الاسود.. لقد كان يفكر مليا في النتائج الوخيمة التي سيؤول اليها الوضع السيئ الذي كان تتخبط فيه البلاد من جراء عدم وضوح الرؤيا السياسية عند الزعيم وكذلك تسلل العناصل العفلقية والانتهازية الى مواقع حساسة في الجيش والسلطة من اعداء الزعيم الشخصين نفسه ناهيك عن معاداتهم لمستقبل البلد.. وكما قلت فان البعثيين ارادوا الصاق تهمة محاولة قتل الزعيم بوالدي لتبرأة ساحتهم وعمل فجوة بين الزعيم وبين المخلصين من رجاله.. لكن المرحوم عبد الكريم دحض تلك الاشاعة المفرضة بقوة حينما رفض الدخول الى صالة العمليات لاجراء عملية عاجلة له بعد محاولة اغتياله وظل ينتظر قدوم وصفي طاهر الى مستشفى السلام وحين وصل الى المستشفى اطمأن الزعيم على الوضع فسلم والدي مسدسه الشخصي ودخل صالة العمليات لاجراءء العملية العاجلة له.. وعندما طلب منه احد الضباط الثوريين الصغار اعتقال الزعيم بعد المحاولة واثناء العملية الجراحية او تسفيره الى خارج العراق للسيطرة على وضع البلد الذي كان يسير باتجاه التدهور المريع لكن والدي وانطلاقا من قيمه الاسلامية والانسانية رفض هذه الفكرة جملة وتفصيلا.. رافضا الانقلاب على زعيمه وكان يسعده ان يغير كل شيء .

ولتعريف القراء باسرة الزعيم الشهيد وصفي طاهر.

× قلت لها هلا عرفتنا باخوانك وشهاداتهم الدراسية؟

– فتحدثت في البداية عن نفسها معرفة ايانا بها وقالت اسمي الكامل، هند وصفي طاهر محمد عارف البياتي ولنا مصاهرات مع الكرد.. انا من مواليد ١٩٥٩ خريجة قسم الاثار، جامعة جارلس في براغ / في جمهورية جيكوسلوفاكية السابقة وللمرحوم وصفي ثلاث بنات اخريات عداي انا، وهن (١– نضال مواليد ١٩٤٤ / اختصاص التحليلات المرضية متزوجة من المهندس الكيمياوي نزار جلال البياتي ولها ولدان (بشار ووصفي) مقيمة في السويد الان. ٢– نسرين مواليد ١٩٤٨/ خريجة معهد التكنولوجيا / بغداد متزوجة من الصحفي رواء الجصاني وهي متزوجة من (ابن شقيقة شاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري) والذي يرأس الان تحرير مجلة بابيلون اي (بابل) ولها بنت واحدة. ، ٣– مي من مواليد ١٩٥٢ / متزوجة من حفيد المناضل عبدالقادر الجزائري واسم زوجها حيدر الحسني الجزائري وتحمل شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة جارلس في براغ ولها بنت واحدة.).

وتستطرد السيدة هند قائلة اما انا فمتزوجة من المهندس الزراعي وخريج جامعة براغ السيد تابان الساعدي الذي ينحدر من عائلة شيوعية مناضلة قدمت على مذبح الوطن ستة شهداء وهو من كوادر الحزب الشيوعي العراقي.

وعن السيدة الوالدة .. نريد ان نعرف بعض المعلومات عن حياتها؟

– اسمها الكامل بلقيس عبد الرحمن محمد عارف البياتي وابوها كان اقدم مصور عراقي.. ويملك ستوديو للتصوير شهير في شارع الرشيد اسمه ستوديو (المصور الاهلي) وكان لدى جدي هذا.. ارشيفا نادراً كاملا لصور بغداد والمدن العراقية قبل وبعد دخول الانكليز الى بغداد عام ١٩١٧.

وعندما توفي استلم الاستوديو خالي المرحوم عبد القادر عبد الرحمن المعروف بـ (قدري) الذي كان موظفا في المجمع العلمي العراقي.. والذي اضطر فيما بعد لغلق الاستوديو بعد مضايقات رجال الامن له بسبب عدم تعليقه في (جامخانة) الاستوديو لصور الطاغية المقبور.. لكنه في احد الايام.. زعل على احدهم وقال له بعصبية (والله ستجدونه معلقا هنا في احدى الايام القادمة) وكان يقصد بتعلقه اي اعدامه. وتسترسل السيدة هند مستعرضة شريط الذكريات عن والدها، بحسب ما سمعته من امها واخواتها الاكبر سنا.. ان والدها عاصر العديد من رؤساء الوزارات بين عام ١٩٥٤ و١٩٥٦ وكان ذلك بامر من تنظيم الضباط الاحرار الذين ارادوا ان يكون احد اعضاء شبكتهم من الدائرة المحيطة برؤساء الوزراء كي يكونوا على اطلاع وعن قرب على ما يدور في اروقة السلطة السياسية في تلك الفترة واخيرا صار الرأي على ترشيح والدي كسكرتير خاص لرئيس الوزراء فعمل مع المرحوم ارشد العمري وفاضل الجمالي وتوفيق السويدي ونوري السعيد من رؤساء وزارات العراق في تلك الفترة وفي عام ١٩٥٦ حصل في نفس (الباشا) اي (نوري السعيد) نوع من الشك تجاه والدي.. ومن ثم صدر امر بتجميده من خلال تسليمه امرية (الاليات والنقل) في الجيش وهي وحدة غير قتالية.

× وهل عمل ابوك في فلسطين؟

– نعم.. فاثناء حرب فلسطين طلب نقله من امرية فوج التدريبات الثابت في وزارة الدفاع الى قلب المعركة في فلسطين وفعلا تم تسليمه قيادة رتل (فرعون) المتكون اصلا من مجموعة من الفدائيين.

وعن دراسات ابيها تحدثت السيدة هند وقالت درس والدي الابتدائية في المدرسة المامونية ثم اكمل المتوسطة والثانوية ثم التحق بالجامعة الوطنية اللبنانية في سوق الغرب في لبنان عام ١٩٣٦ ثم دخل الكلية العسكرية ام ١٩٣٩.

وبعد الثورة.. رفض المواقع العليا واكتفى بان يكون المرافق الاقدم لقائد الثورة.

وتضحك السيدة هند وصفي من اعماقها حينما سألناها عن فترة التحاقها بفصائل الانصار والبيشمه ركه في كردستان وعلى الرغم من انني كنت اصغر اخواتي ونحيلة الجسم قررت الالتحاق بصفوف بيشمركه كردستان عام ١٩٨٤ من منطلق التعاطف العميق مع الكرد باعتبارهم اصحاب حق واصحاب قضية.. فالتحقت مع زوجي ورفيق دربي منطلقين من براغ الى سوريا ومنها الى ايران ومن ثم الى كردستان الحبيبة عبر الجبال الوعرة والطرق الضيقة الخطرة في رحلة تحدي مع الطبيعة من نوع فريد لقد كنت اقتحم هذا العالم دفاعا عن قضية شريفة وعادلة واضعة الموت امامي فاختلطت مشاعري الوطنية والشخصية عن طريق مكافحة النظام المقبور ك (بيشمركه). منخرطة في حركة الانصار وقد اخذت اسم (بلقيس) كاسم حركي على اسم امي.. تلك المرأة العراقية المضحية.

× ومن ذكرياتك في الثورة الكردية.. ماذا ستروين لنا؟

– لابد هنا من كلمة عن الكرد فاني لم ار في حياتي ناسا في قمة الطيبة والنقاء مثل هذا الشعب.. اذكر باني كنت مرة غائصة في الطين من اعلى رأسي الى اخمص قدمي فوصلت الى قرية (زنكال)

هند وصفي

وصفي طاهر

في منطقة بهديتان. فجاءتني امرأة كردية وهي صاحبة البيت الذي نزلنا فيه فتلقتني بالاحضان وعاونتني على خلع البدلة المتصلبة على جسدي. ثم غسلت ملابسي وجواربي تصور امرأة كردية كبيرة تقوم بكل هذه الاعمال علاوة على الاستقبال الحار الذي قوبلنا به في كل مكان.. وعلى الرغم من انني لم اكن اجيد اللغة الكردية.. الا ان كلام القلب كان يصل الى القلب دون ترجمة . وفي وقت قياسي تعلمت لغة (المورس) وعملت على جهاز لاسلكي في الفوج الاول في منطقة (كلي مراني) بقيادة الملازم هشام وكانت لاعضاء منظمات الانصار الثورية دورات في اليمن الجنوبية لمدة سنتين وكذلك في لبنان مع الفدائيين الفلطسينيين وقد استشهد العديد من رفاقنا دفاعا عن المخيمات الفلسطينية واذكر انني مع بعض الرفاق و الرفيقات فتحنا مدرسة باسم (١٤ تموز) في قرية (سوسية) بين الموصل ودهوك لتدريس ابناء العوائل المهجرة الى المناطق المحررة فقمت مع – الرفيقات (ام امجد) و(كه نار) وعدد من الانصار بالتدريس.. وكان قسم من الانصار اصلا ممن يعملون في سلك التدريس. واذكر بانني التقيت بالاستاذ روز نوري شاويس في موقع بجبل متين في قاطع بادينان.. وعلى اطراف الزاب و الذي قصف بغاز الخردل عام ١٩٨٧. وكانت تجري عمليات مشتركة بين البارتي و الشيوعيين للهجوم على مواقع حساسة للبعثيين.. ومع الاسف الشديد فان كل اعلام العالم كان في صف البعثيين.. فلقد قدم البيشمركة بطولات عظيمة تضاهي بطولات فيتنام وكمبوديا وبوليفيا على الرغم من امكانياتهم المتواضعة.

وهناك حقيقة عن الجيش العراقي.. فقد كان في معضمه ضد مقاتلة اشقائهم الكرد واذكر ان هجوماً حصل على المنطقة في شتاء ١٩٨٧. فاضطررنا الى تخلية المكان حفاظا على حياة العوائل الاطفال التي اثقل النظام البائد كاهل الثورة بها عن طريق التهجير المستمر.. وعندما انسحب الجميع الى الخطوط الخلفية.. بقيت على جهاز اللاسلكي لمدة ٧٣ ساعة بدون نوم ثم تناولت مجموعة من اقراص فيتامين (C) لمقاومة الاجهاد، ثم سنحت لي الفرصة للنوم فاخذتني (الغفوة العميقة) كما يقولون.. وكان علي ان ابلغ قيادتي بموقف معين لان التأخير بالتبليغ كان ينذرهم بحلول كارثة وعلى الرغم من ان الوقت كان ليلا.. فعندما صحوت من النوم تذكرت الاتصال المطلوب.. فحييتهم بعبارة صباح الخير بدلا من مساء الخير.. فتركت (المورس) الى (الكلام) كي اسرع بابلاغهم الموقف فسألني احد الانصار وكان من السليمانية عن طريق الجهاز الوقت عندكم ليل ام نهارا فقال له رفيق لنا على الخط الاخر.. ضاحكاً.

الوقت مساء الان.. لكن عند رفيقتنا فيما يبدو نهار.

فضحكت من اعماقي على الرغم من حراجة الامر.

× وماذا تريدين ان تقولي عن الحركة الكردية ايضاً؟

– الحقيقة انه رغم الانفالات ومواسم الموت، استكثر البعض على الكرد.. التمتع بالفدرالية او بحق تقرير المصير.. انني انفعل جدا وبشدة عندما اسمع بعض الفضائيات تتهجم على الـ(بيشمركه) لانني عشت اقسى الظروف معهم.. وانا مع الشعب الكردي في تقرير مصيره وعندما عشت في السويد.. فهمت المعنى الحقيقي للفدرالية فهم يعيشون في نعيم لانهم سمحوا لشعوبهم بتحقيق ما يريدون. واذكر انه بعد ان انسحابنا في عام ١٩٨٨ كان من الصعب مرافقة العوائل المنسحبة الى جانب الحكومة بعد اعطائهم لعفو كاذب. ومن ثم قام بانفلتهم.. فان الكثير من التلاميذ الصغار الذين درسناهم ماتوا من جراء استعمال الكيمياوي ضدهم. ولازلت احتفظ بصور تلاميذي من الزهور الذين غيبهم الكيمياوي انني هنا وعلى منبر جريدة التآخي العزيزة اطالب بعمل مقبرة رمزية لاولئك الصغار الذين قضوا من جراء الانقلاب.. والذين درسناهم مقبرة من شقائق النعمان و الياسمين و البنفسج لتلك البراعم الصغيرة.. الذين قبرهم نظام صدام المجرم دون من ذنب جنوه.

× وفي سؤال اخيراً.. سألنا السيدة هند وهل تم التعرف من قبلكم على قبور شهداء انقلاب شباط الاسود.. وكيف؟

– نعم.. على الرغم ما ان هذه المسالة بقيت سرا من اسرار حكم العفالقة.. فحتى سقوط بغداد ظلت هذه المسألة لغزاً.

وكان التساؤل يراودني منذ طفولتي المبكرة حينما كنت ارى صديقاتي يزورون قبر اهاليهم في الاعياد.. فأسأل مع نفسي لماذا لا نذهب نحن ايضا ولا اجرؤ على سؤال والدتي هذا السؤال.. ولماذا لا نذهب نحن لزيارة قبر ابينا؟ لكن واجهت اختي الاكبر مني سنا بقليل بهذا السؤال.. فاجابتني بذكاء ان القبر ليس مهما بقدر خلوده باثاره ومكتبته واسطواناته الموسيقية (وبالمناسبة كان يحتفظ بمكتبة كاملة لموسيقى الكلاسيك) ثم اضافت (مي) ان حاضر بيننا بقيمه العالية واستشهاده في سبيل وطنه.. لكنني وبعد التغيير الذي حصل في ٩ نيسان وجهت نداء الى كل العراقيين لمعاونتنا في البحث عن قبور شهداتنا وذلك عبر لقاء جريدة الصباح والذي قام شخصياً بتحريات دقيقة، وفي كل مرة كنا نذهب الى اشخاص يدعون بان يعرفون المكان ثم تنكشف لنا الحقيقة عن لاشيء. وكان العفالقة بعد (٨) شباط قد حرصوا على اخفاء سر مكان القبور كي لا تصبح مزارات يبؤمها الشرفاء من العراقيين.. فبعد ان تم قتل احد قادة الثورة رموا بهم في العراء جميعا بالبستهم العسكرية فرآهم احد الفلاحين الشرفاء.. فاخبر اهله.. وقاموا بدفنهم لكن السر انكشف ورمي الفلاح السكين في السجن لمدة سنة ونصف.. ثم نبش البعثيون القبور بحثا عن جثة المرحوم عبد الكيم قاسم فوجدوها واخذوها الى مكان مجهول وتركوا باقي الجثث في العراء مرة اخرى.. لكن ذوي الفلاح الشريف قاموا بدفنهم مرة اخرى.

واخذو يزورون المكان من وقت لآخر ويضيئون الشموع ويشعلون البخور.. وبعد مرور سنوات بدأ الناس يتسائلون من هم هؤلاء الذين تضعون الشموع على قبورهم؟ فاجابوهم بان هؤلاء من السادة لاخفاء شخصياتهم الحقيقة من النظام ثم قام الاهلون تدريجيا بدفن اطفالهم المولودين حديثا المتوفين لاسباب مختلفة.. لذلك نرى حول المقبرة مهودا اشارة الى ان الاموات من الصغار. ثم بن الاهلون بعد التغير بنى قبرا رمزيا لعبد الكريم قاسم.

وبعد اكثر من اربع ساعات.. شعرنا باننا اثقلنا على السيدة المناضلة (هند وصفي طاهر) بكل هذه الاسئلة المثيرة للكثير من الالام العميقة والاشجان الدفينة.. فقامت لتودعنا وهي تشكرنا في هذه المهمة الصادقة في استذكار الشهداء من رموز هذا الوطن.

قصة ساعة الأعظمية

يوم أهديت ساعة الحضرة الكيلانية ذات الوجهين الى جامع الأمام الأعظم لتصليحها ونصبها فيه.غير ان الساعة كانت قديمة وقد تلف الكثير من أجزائها أثناء نقلها.وقد حاولت الأوقاف حينها تصليحها الا ان المحاولات باءت بالفشل..مما اضطرها للاعلان عنها في الصحف المحلية(العراق ١٧شباط١٩٢١)،تطلب من المتعهدين وذوي الاختصاص في موضوع تصليح الساعة مراجعتها.فلم يلب أحد.وفي ١٩آذار ١٩٢١ تقدم الحاج عبد الرزاق محسوب الأعظمي يتعهد بتصليحها ،وبعد ان فحصها وجدها غير صالحة،فاقترح على الأوقاف قيامه بصنع ساعة مثلها وتعهد إنشاء ساعة جديدة،وقد وافقت مديرية الأوقاف على الطلب وكتبت له بتاريخ ٢٤آذار ١٩٢١ بموافقتها على القيام بصنع ساعة جديدة..

وفي ٢٥آذار١٩٢٥ بدأ المشروع ينفذ في معمل(بيت)عبدالرزاق في محلة الشيوخ بعدما رسم في ذهنه خطوطها الرئيسية ووضع تصميما لصنع ساعة كبيرة مع هيكلها الخاص ذات اربعة اوجه بدلا من تلك الساعة ذات الوجهين.

وبعد عمل مضن دؤوب دام ٨ سنوات ونصف بمساعدة اولاده محمد رشيد وعبدالهادي وبعد ان انفق كثيرا من المال اتمها في ١٩٢٩/١٢/٢٨ ،طلب من ادارة الاوقاف تسلمها هبة منه لوجه الله، وطلب القيام ببناء البرج المناسب لها..الا ان عقليات الاوقاف حينها شككت في صنعها فماطلت بذلك، ورفضت تسلمها،،فاقام لها برجا جديدا في بيته،،وكانت تسمع بانتظام ويسمع صوتها من بعيد ..وكل اجزائها عراقية غير مستوردة ....

وقد اغتنم الحاج عبدالرزاق فرصة اقامة معرض ببغداد ١٩٣٢ وعرض الساعة التي حازت الجائزة الاولى..وبقت تعمل في حدائق المعرض حتى اواخر شباط ١٩٣٣ واعيدت الى المعرض بالاعظمية..ووافقت الاوقاف على تسلمها ولم تضعها في جامع الامام الاعظم بحجة بناء البرج وبقت هكذا لمدة ٢٦سنة..وبعد ١٤تموز١٩٥٨ تم بناء برج اسطواني بارتفاع ٢٥م وكسي بالفسيفساء الازرق والابيض..

وسنة ١٩٦١ نصبت الساعة وبقت تعمل بانتظام..

وعام ١٩٧٣ قامت الاوقاف باكساء البرج بصفائح من معدن الالمنيوم المضلع باللون الذهبي.

عن مجلة بغداد 1975

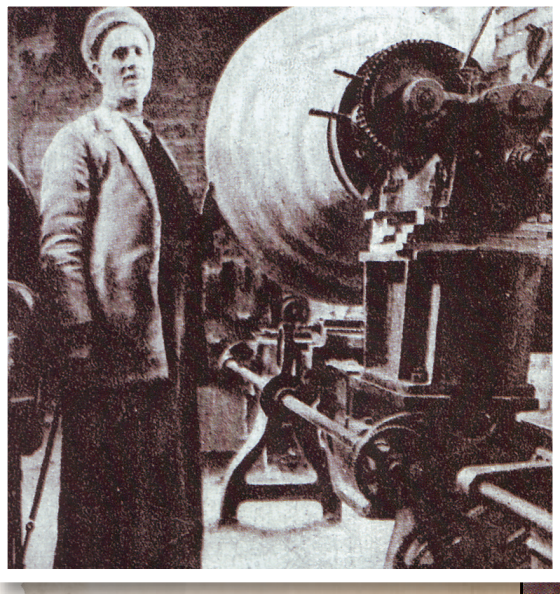

احداث عراقية

ماذا حصل ليلة وفاة الملك فيصل الاول..؟

لا خلاف على ان الملك فيصل الاول هو ابرز الملوك العرب في العصر الحديث وقد اختلف في مكان وتاريخ ولادته فهناك من قال إنه ولد في مدينة مكة المكرمة في العشرين من أيار عام 1883 فيما ذكر آخرون ان ولادته كانت في مدينة الطائف في العشرين من ايار عام 1885.

د هادي حسن عليوي

وهو الابن الثالث للشريف حسين الى جانب علي وعبدالله. وقد نقل في اليوم الثامن من ولادته الى عرب عتيبة للرضاع تماشياً مع التقاليد الهاشمية. ثم نشأ في البادية وتعلّم الفروسية وركوب الخيل وضرب السيف واستخدام السلاح مما جعل منه فارساً مقداماً. ثم استدعي والده الشريف حسين الى العاصمة التركية عام ١٨٩٣ في عهد السلطان عبد الحميد، وعاش هناك مع اولاده حتى عام ١٩٠٨.

وفي سنة ١٩٠٥ تزوج فيصل من ابنة عمه حزيمة بنت الشريف ناصر بن علي وانجب منها صبياً وحيداً هو غازي ولد عام ١٩١٢ وثلاث بنات.

عاش فيصل حياة تقشف وتقوى تزوج بامرأة واحدة ولم يكن يهتم بجمع الاموال. ولما خرج من سوريا عام ١٩٢٠ لم يكن معه ما يكفيه من مال لنفقات السفر.

قلنا ان فيصل عاش فترة في اسطنبول مما اتاح له الفرصة بأن يلتقي بالكثير من رجال السياسة والشخصيات العربية والتركية، ومما مكّنه كذلك من اتقان اللغة التركية.

وفي عام ١٩٠٨، عام اعلان الدستور في تركيا، عاد مع والده الى مكة. وفي عام ١٩٠٩ بدأ حياته السياسية العملية، حيث رشح نفسه نائباً عن مدينة جدة، وبعد فوزه في الانتخابات اصبح عضواً في "مجلس المبعوثان" مما كان يتطلب ان يعيش فترة في اسطنبول ثم يعود الى الحجاز. وهو ظل عضواً في "مجلس المبعوثان" حتى بداية الحرب العالمية الاولى.

كان فيصل الاكثر حماسة بين ابناء الشريف حسين لاعلان الثورة ضد الاتراك، وقد يعود ذلك الى اتصاله برجال الحركة العربية في سوريا.

ولكنه عندما ذهب الى دمشق عام ١٩١٦ لاشعال الثورة فيها وجد أن جمال باشا السفّاح قد بدأ بقطع رؤوس الاحرار العرب ونصب لهم المشانق في ٦ أيار ١٩١٦. عندها عاد الى الحجاز ليساهم مع والده في اطلاق الثورة في ١٠ حزيران من تلك السنة.

وفي ١٩١٨ انهزمت تركيا في الحرب العالمية الاولى وخرجت جيوشها من سوريا فجاء (الملك) فيصل الى دمشق ودخلها على صهوة جواده فاستقبله الناس استقبالاً حماسياً وفي الخامس من تشرين الاول اذاع الملك فيصل بلاغاً رسمياً بتشكيل الحكومة يقول فيه: "الى اهالي سوريا المحترمين، اشكر جميع السوريين على ما ابدوه من العطف والمحبة وحسن القبول لجيوشنا المنصورة، والمسارعة للبيعة باسم مولانا السلطان امير المؤمنين الشريف حسين نصره الله"(١).

وبعد هزيمة تركيا اخذت الدولتان المنتصرتان بريطانيا وفرنسا تعملان للسيطرة على البلدان العربية التي كانت خاضعة للسلطنة العثمانية وفقاً لاتفاقية "سايكس – بيكو" التي وضعها كليمنصو ولويد جورج لتقاسم البلدان العربية بين بريطانيا وفرنسا. وقد جرى ذلك في ١٥ ايلول ١٩١٩ عندما دعا لويد جورج الامير فيصل الى اوروبا للتفاهم معه على خطوط السياسة الجديدة وقد وجّه اليه برقية في ١٠ ايلول ١٩١٩ راجياً ان يصل لندن في السادس عشر من الشهر نفسه.

غادر فيصل دمشق الى حيفا فالاسكندرية ثم ابحر على ظهر طراد للاسطول البريطاني يصحبه الشيخ فؤاد الخطيب أمين الخارجية، والجنرال حداد باشا مدير الامن العام، والدكتور احمد قدري – طبيبه الخاص –، والقائد اركان حرب محمد اسماعيل، والخوري يوسف اسطفان والمحامي توفيق الناطور، والمرافق العسكري تحسين قدري. ولكن عندما وصل الى باريس في ١٩ ايلول كان كل شيء قد انتهى بين الدولتين الحليفتين بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاقية "سايكس – بيكو" التي اوقعت الدول العربية تحت الانتداب والسيطرة الاجنبية والتي لا نزال نعيش ذيولها حتى اليوم.

جرت مبايعة فيصل ملكاً في السادس من آذار ١٩٢٠ في اجتماع "المؤتمر السوري". ثم جاءت فرنسا بجيشها الى سوريا ونشبت الحرب وانزل العلم العربي الذي رفعه فيصل في بيروت ودمشق بعدما رفض لويد جورج استقلال سوريا وتنصيب فيصل ملكاً عليها واعتبر انه ليس من حق اية جماعة ان تقرر مستقبل سوريا والعراق بل ان ذلك من حق دول الحلفاء التي حررت سوريا من الاحتلال التركي.

وعُقد مؤتمر سان ريمو بين (١٨–٢٦) نيسان ١٩٢٠ قررت فيه بريطانيا وفرنسا مصير البلاد العربية وتوزيع الغنائم بين الحلفاء.

وقد اتضحت ملامح المؤامرة باعطاء فلسطين لليهود، ولم تنفع ردود الفعل التي صدرت عن الجماهير السورية التي كانت تطالب بالاستقلال. وقد كُتب ما كتب واملى الاستعمار شروطه وزحف الجنرال غورو على دمشق وانتصر في معركة ميسلون.

ثم غادر الملك فيصل سوريا بطلب من الحكومة الفرنسية وسافر الى حيفا ومنها الى ايطاليا

وكذلك احتل الجيش البريطاني بغداد رغم مقاومة الشعب العراقي للاحتلال ومحاولاته الثورة ضد الانتداب البريطاني. وفي ١٩٢١ جرى تتويج الملك فيصل ملكاً على العراق وقد اشترط عندما عرض عليه عرش العراق ان تعترف الحكومة البريطانية باستقلاله، وان تساعد العراقيين، اولاً على انشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة، وثانياً: ان يلغى الانتداب الذي فرض على العراق في مؤتمر الحلفاء في سان ريمو. واصبح الملك فيصل في موقف صعب بين مطالب الشعب العراقي بالاستقلال وفرض بريطانيا الانتداب على العراق.

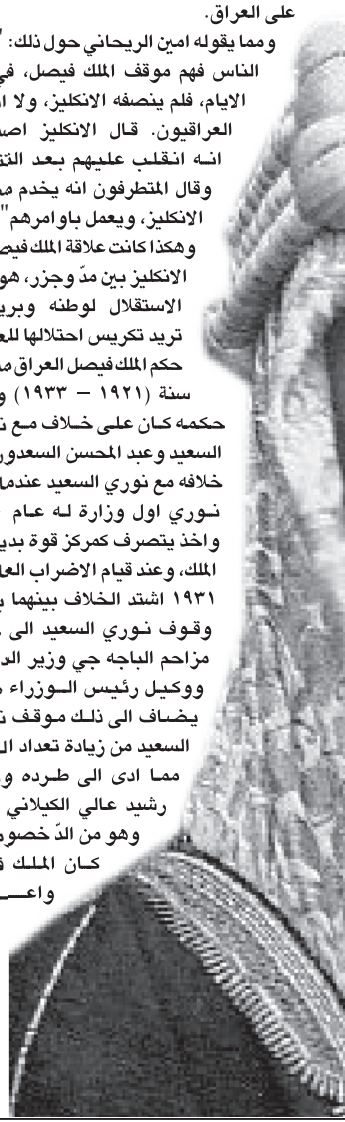

ومما يقوله امين الريحاني حول ذلك: "اساء الناس فهم موقف الملك فيصل، في تلك الايام، فلم ينصفه الانكليز، ولا انصفه العراقيون. قال الانكليز اصدقاؤه انه انقلب عليهم بعد التتويج، وقال المتطرفون انه يخدم مصالح الانكليز، ويعمل باوامرهم"(٢).

وهكذا كانت علاقة الملك فيصل مع الانكليز بين مدّ وجزر، هو يريد الاستقلال لوطنه وبريطانيا تريد تكريس احتلالها للعراق.

حكم الملك فيصل العراق مدة ١٢ سنة (١٩٢١ – ١٩٣٣) واثناء حكمه كان على خلاف مع نوري السعيد وعبد المحسن السعدون. بدأ خلافه مع نوري السعيد عندما شكل نوري اول وزارة له عام ١٩٣٠ واخذ يتصرف كمركز قوة بديلة من الملك، وعند قيام الاضراب العام عام ١٩٣١ اشتد الخلاف بينهما بسبب وقوف نوري السعيد الى جانب مزاحم الباجه جي وزير الداخلية ووكيل رئيس الوزراء ضده. يضاف الى ذلك موقف نوري السعيد من زيادة تعداد الجيش مما ادى الى طرده وتعيين رشيد عالي الكيلاني مكانه وهو من الدّ خصومه.

كان الملك فيصل واعياً

لحاجات العراق متفهماً لواقعه ومدركاً للعقبات التي كانت تواجهه في تحقيق النهضة التي كان يصبو اليها. يقول في خطاب التتويج: "كانت هذه البلاد في القرون الخالية، مهد المدنية والعمران، ومركز العلم والعرفان. فاصبحت بما نالها من الخطوب والحوادث، خالية من اسباب الراحة والسعادة. فقد فيها الامن وسادت الفوضى، وقلّ العمل، وتغلبت الطبيعة وغارت مياه الرافدين في بطون البحار. فأقفرت الارض بعد ان كانت يانعة نضرة، وطغت القفار على المعمور، واصبحت المدن التي قويت على مقارعة النائبات اشبه شيء بواحات واسعة. فنحن الآن تجاه الحقيقة المؤلمة، ولا يجدر بشعب يريد النهوض، الا ان يعترف بهذه الحقائق"(٣).

لم يكتف فيصل بطرح الافكار بل حاول وضعها موضع التنفيذ فراح يمارس الضغط على شركات النفط للتخلي عن سياسة المماطلة والتسويف في استثمار النفط واخراجه الى الاسواق العالمية للحصول على المبالغ اللازمة لتنفيذ المشاريع التي تحتاجها البلاد، مما ادى الى تصادمه مع الحكومة البريطانية التي كانت تدعم "شركة نفط العراق". كما حاول الملك تعديل المعاهدة مع الحكومة البريطانية التي وقعّت عام ١٩٢٢ لانها مجحفة بحق العراق كما كانت تعتبر الحركة الوطنية.

ولكن شاءت الاقدار الا يحقق الملك فيصل امنياته تلك اذ وافته المنية بعد سنة. ففي الساعة الحادية عشرة والنصف من ليل يوم الخميس في السابع من ايلول ١٩٣٣ استدعى الملك ممرضته وأمرها بأن تدعو حاشيته للحضور حالاً. فصعد اليه شقيقه الملك علي ونوري السعيد ورستم حيدر وتحسين قدري، ووجدوه يلفظ انفاسه الاخيرة. وفي الساعة ١١،٤٥ فاه بهذه الكلمات: "انا مرتاح، قمت بواجبي، خدمت الأمة بكل قواي، ليسر الشعب بعدي بقوة واتحاد"(٤).

هكذا رحل الملك فيصل الاول الذي كان أمل الامة العربية. رحل في الغربة حيث كان يستشفي في مدينة بيرن السويسرية في فندق "بيل فو".

لقد توفى الملك فيصل الاول ولكن هل كانت وفاته بنوبة قلبية؟

يروي موسى محمود الشهبندر الذي كان احد اعضاء الوفد المرافق للملك ساعاته الاخيرة فيقول:

"بعد العشاء كان الجميع مجتمعين حسب العادة، في بهو الفندق وكان الملك علي يتحدث مع الامير شكيب ارسلان في احدى زوايا البهو، في الوقت الذي انشغل فيه الملك فيصل الأول وعادل ارسلان في حديث عميق، اما بقية اعضاء الحاشية فقد كانوا منشغلين بمتابعة مباراة بكرة المنضدة (اي كرة الطاولة) بين سيدة انكليزية واحد رجال الوفد. في هذه اللحظة نادى فيصل علي موسى الشهبندر، وقال له: تعال يا ابا شرارة – يقصد موسى – قل الحق من اكبر انا ام عادل؟ وقبل ان يرد الشهبندر، واصل الملك كلامه. عادل كان مبعوثا عندما كنت انا لم ازل ادرس في اسطنبول... قل بالله عليك من اكبر هو ام انا؟ وبالفطنة والذكاء اللذين عرف بهما الشهبندر، اجاب: جلالتك اكبر وان كان الامير عادل قد ولد قبلك. وهناك ادرك فيصل نباهة الشهبندر وحسن اجابته فضحك فرحا كالطفل".

وبعد ساعات مات الملك فيصل.

تعددت الروايات حول وفاة الملك. تذكر احداها ان الممرضة البريطانية الليدي باجيت شاهدته يوم وفاته بعد عودته من نزهة السيارة وهي تعتقد انه كان بصحة جيدة، وكانت الساعة تشير الى السادسة مساء، وكانت ترافقه امرأة هندية جميلة المظهر، وكذلك اخوها الطبيب، ولم تتأكد (الليدي) من كان مع الملك عند تناوله الشاي، وفي الساعة السابعة شعر بعطش شديد فأعطي شيئا ليشربه فتقيأ بشدة...

سرت شائعة بأن الملك مات مسموما بمادة الزرنيخ. ويبقى السؤال هل مات ميتة طبيعية ام قتل بمؤامرة دبرت له؟

الدكتور كوفر المشرف على صحة الملك لم يتخذ الاجراءات لفحص القيء كما كان يجب ان يفعل لمعرفة فيما اذا كان فيه سم.

كان ثلاثة اطباء سويسريين مشهورين قد اجروا فحوصات للملك قبل وفاته بيومين واكدوا ان قلبه لا يعاني من شيء خطير. كذلك لم يجر تشريح دقيق للجثة لمعرفة اسباب الوفاة بل جرى تحنيطها بسرعة.

كان الملك قد صرح لمراسل جريدة "الديلي ميل" في بيرن انه جاء لاجراء فحوص سنوية طبية أي انه لم يأت للعلاج من مرض معين.

تشير الحقائق الطبية الى ان المصاب بالتسمم بالزرنيخ المذاب بالشاي والحليب يشعر عادة بعطش شديد ودوار والم شديد في المعدة، مع تقيؤ يعقبه هواء، اي تقيؤ من معدة فارغة، وقد تسبب حالة التسمم هذه عجزا في القلب... مما يرجح فرضية ان يكون السم قد دس في الشاي الذي شربه الملك قبل ساعات.

هناك من يتهم المرأة الهندية (المس) بابس بافري التي كانت مع شقيقها الدكتور جال بافري في ضيافة الملك هي التي دست السم او شاركت في ذلك.

والذي يرجح ان سبب الوفاة مفتعل ان رئيس التشريفات الملكية قال: "ان فيصل قد قتل ولكنه لم يدرك من هو القاتل!

وهناك من يتهم نوري السعيد الذي امر بتحنيط جثة الملك ونقلها بسرعة الى العراق.

وهناك روايات اخرى. يلخص ناصر الدين النشاشيبي في كتابه "نساء من الشرق الاوسط"(٥) سبب وفاة الملك فيصل فيقول:

"هناك فتاة يهودية مصرية باسم فيكي او (فيكتوريا حكيم) تسكن في منطقة المعادي بالقاهرة وتجيد التحدث بأكثر من لغة اجنبية (الانكليزية والفرنسية، والايطالية) كما تجيد لعبة البريدج. وكانت فيكي وعائلتها يقضون شهور الصيف في رأس البر... وشاءت الصدف ان تتعرف عائلتها الى رستم حيدر الذي وقع في حب فيكي فوعدها بأن لا يفارقها مطلقا. وانه سوف يضمها الى الحاشية الملكية. وكان رستم قد علم بأن فيكي كانت درست التمريض في المستشفى الاسرائيلي بالاسكندرية واشتغلت في ذلك المستشفى.

وبعد فترة قصيرة تلقت فيكي برقية مستعجلة من رستم حيدر يطلب فيها ان تعد نفسها لكي تقوم بمهمة الممرضة الخاصة للملك فيصل الاول. وفي شهر آب سافر الملك ومعه اخوه الملك علي ونوري السعيد ورستم حيدر وتحسين قدري الى سويسرا لغرض العلاج. وفي ميناء الاسكندرية التحقت فيكي بالحاشية الملكية. لقد اعجب الملك بها مثلما وقعت هي بحب الملك، او هكذا كان شعورها".

يتابع النشاشيبي سرد قصته فيقول: "رأيت فيكي بعد موت الملك وقد جاءت الى مدينة لوزان برفقة زوجها احمد صديق باشا (محافظ الاسكندرية) وعيّن بعد زواجه بها سفيرا لمصر في اليابان. وسألتها عن قصتها مع الملك فيصل الاول فانزعجت لسؤالي ولم تجبني...

وعندما مرضت فيكي بالسرطان زرتها في المستشفى وذكّرتها بسؤالي ثانية فأجابت: "انا كنت صغيرة، لكني اذكر ان شخصية بريطانية غامضة قد اتصلت بي فور اقلاع الباخرة من الاسكندرية ودعتني الى تناول فنجان شاي وكشفت لي عن منصبها وعملها وطلبت مني بصراحة تامة أن اوافيها على مدى الاربع والعشرين ساعة بتفاصيل حالة الملك الصحية ونوع الحقن التي يأخذها واقراص الدواء التي يتناولها وحركاته ونشاطه.

ثم قالت لي تلك الشخصية ان رستم حيدر لا يعترض على مثل هذا العمل وانه على علم تام به... ثم تتابع قائلة: وفي فندق "بيل فو" اختاروا لي غرفة ملاصقة لغرفة الملك، وكانت مهمتي ان ارافقه معظم ساعات الليل والنهار. وكنت اول من يدخل عليه في الصباح وآخر من يراه عند منتصف الليل.

وفي اليوم الثاني من وصولنا الى بيرن سلمني طبيب الملك الخاص مجموعة الحقن التي سأعطيها للملك، وهو الذي اختار له العلاج. وشرح لي كيفية استعماله، وطلب مني ان اوافيه بتقارير سرية عن حالة الملك الصحية اثر كل حقنة من العلاج اعطيها له.

وقد جاء السفير البريطاني في بيرن الى الفندق ودق عليّ باب غرفتي ودخل وشرح لي بأن رئيس الديوان الملكي (رستم حيدر) على علم بهذه الزيارة. وطلب مني ان اطلعه على علب الحقن التي يتناولها الملك وعلى بقية الدواء الخاص به، وفجأة دق جرس التلفون وسمعت صوت رستم حيدر يطلبني لأمر هام، فتركت السفير البريطاني في غرفتي وعندما عدت اليها وجدت جميع الحقن واقراص الدواء، قد اعيد ترتيبها بعناية خاصة وبنظام يلفت النظر بحيث لم اعد واثقة تماما من ان هذه العشرات من مجموعات الحقن وعلب الدواء هي مجموعات العلب والحقن نفسها التي تركتها. ولم اقدر ان اطلب من السفير ان يفتح لي حقيبة يده كي افحص ما بداخلها، ولم اقدر ان احصي عشرات من العلب كي اعرف ماذا نقص منها، وماذا زاد عليها، وما تبدل منها؟

ادرك السفير البريطاني حيرتي فاستأذن لارتباطه بموعد سابق على ان يتصل بي في المساء. وفي المساء وبعد عودتي الى غرفتي بعد ان اعطيت الحقنة الطبية للملك – لكي استريح – وجدت السفير البريطاني في انتظاري حيث امطرني بعشرات الاسئلة عن صحة الملك. ولم اجد ما يبرر هذه الاسئلة لأنني كنت انقل كل شيء عن صحته الى رستم حيدر.

بعد يومين من هذه الواقعة ذهب الجميع الى الجبل المجاور للفندق تلبية لدعوة عائلة هندية معروفة وكان الملك في ذلك اليوم بكامل نشاطه وموفور الصحة. لكن عندما عاد بعد الظهر بدأ يشعر بضيق في الصدر وتعب في الجسم، فأعطيته الحقنة اللازمة.

وقبل حلول العشاء سمعت صوت حسين قدري يناديني من وراء الباب كي آتي بحقنة انعاش لاعطائها للملك فورا. وعند دخولي وجدت الملك مستلقيا فوق سريره وقد ارتسمت خطوط زرقاء فوق وجهه. رفعت سماعة التلفون لطلب الطبيب الخاص، واتصلت بالسفير البريطاني لكي ادعوه، لكن السفير وفي ضوء حساباته وتوقعاته كان جالسا في بهو الفندق في انتظار المفاجآت. وحضر الطبيب واعطيت الاسعافات اللازمة للملك، لكن الموت كان اقوى من كل شيء، اذ اغمض عينيه وفارق الحياة بعد ساعة واحدة، وكان موجودا على سرير الملك عند وفاته كل من: رستم حيدر وتحسين قدري والممرضة فيكي والسفير البريطاني (يلاحظ عدم وجود نوري السعيد معهم)".

ويتابع النشاشيبي روايته فيقول:

عندما سألتها عن اسماء الاشخاص الذين يحملون سر وفاة الملك فيصل في صدورهم، قالت فورا: كان رستم حيدر يعرف سر القصة لكن الذين يعرفون عنه ذلك قرروا التلخص منه فارسلوا اليه مفوض شرطة مفصولا من عمله اطلق عليه الرصاص في مكتبه منتصف شهر حزيران عام ١٩٤٠".

الجدير ذكره ان ما روته الممرضة فيكي للنشاشيبي يتوافق مع ما توصل اليه الدكتور مظفر الادهمي والدكتور علاء جاسم في كتابيهما عن الملك فيصل الاول وكذلك مع ما قاله الدكتور عصام شريف(٦) من ان اصابع الاتهام تشير الى السلطات البريطانية في التخطيط لقتل الملك فيصل وان رستم حيدر كان المنفذ للمخطط البريطاني من خلال صديقته اليهودية الممرضة فيكي. وهنا تلتقي مصالح كل من بريطانيا واليهود للتخلص من الملك فيصل الاول الذي كان يسعى للتخلص من الاستعمار البريطاني ويعمل على توحيد العرب. في مقال لي تناولت فيه "مذكرات رستم حيدر"(٧) نشرته جريدة "النهار" بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٧ جاء ما يلي حول مقتل رستم حيدر (ص٩٦):

"في ١٨ كانون الثاني وليس كما ورد اعلاه في منتصف شهر حزيران – وبينما كان رستم حيدر في مكتبه بوزارة المال دخل عليه المدعو حسين فوزي توفيق وهو من مفوضي الشرطة المفصولين واطلق عليه النار فأصابه في خاصرته اليسرى. فنقل رستم حيدر الى المستشفى ولكنه توفى متأثرا بجراحه في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٠. القي القبض على الجاني الذي اعترف بأنه هو الذي اطلق النار لعدم حصوله على وظيفة كان الوزير حيدر يعده بها دون جدوى فأقدم على فعلته... ثم صدر حكم باعدامه ونفذ فيه في ٢٧ آذار ١٩٤١.

وقبل ان حراس السجن الذين حضروا عملية تنفيذ الاعدام سمعوا حسين فوزي توفيق يصيح جهارا وهو في طريقه الى المشنقة: "ورطني... ورّطني" وهو يقصد ان نوري السعيد هو الذي ورطه في اغتيال رستم حيدر. وكان نوري السعيد قد قابل الجاني في سجنه فغير اثر ذلك افادته.

فهل كان لنوري السعيد ضلع ومعرفة بقتل الملك فيصل؟ واذا كان لرستم حيدر دخل في مقتل الملك فيصل الاول عام ١٩٣٣ فلماذا جرت تصفيته بعد سبع سنوات اي في ١٩٤٠؟

يعتقد الدكتور محمد مظفر الادهمي ان اصبع الاتهام تشير الى طرفين كانت لهما مصلحة في موت فيصل هما نوري السعيد والسلطات البريطانية.

الملك فيصل مع اولاده

رضا علي في معهد الفنون الجميلة

كمال لطيف

كان يدخل للبيت خلسة وبيده العود... وكان يمثل ويغني بعيدا عن الأهل، فقد كانت العائلة تعتقد ان الفن ليس شرفا وفخرا بقدر ما كان يمثل اساءة لها امام الناس. في احد الايام احس الاب بميل ابنه للغناء.. فكسر العود ومنع الابن من الغناء ومرة رأته والدته يمثل امام المرآة احد المشاهد الخاصة بمسرحية هاملت فما كان منها الا ان قالت بصوت عال وبتعبير بغدادي "يمه ابني تخبل!".. لهذا وحسب التقاليد الشعبية لم تبخل بأن عملت له حرملا كخلاص له من هذا المرض اللعين.

ورغم ذلك فالإبن لم يحس بهذه الصعوبات والعراقيل، فقد كان الفن بالنسبة له الشيء الكثير وبدأ الصراع من جديد بين الأهل والابن.

في الخمسينيات حين علم الاب بقبول ابنه في معهد الفنون الجميلة.. جن جنون الاب لسماعه النبأ، وحزنت العائلة في تلك الفترة، ولكن اصرار الابن كان قويا.. فدخل المعهد بثقة عالية، وبفرح لا يوصف وكم كانت فرحته وهو يجلس لاول مرة على مقاعد الدراسة في فرع التمثيل، وشعر بفرحة غامرة عندما نطق استاذه اسمه لاول مرة:

. يا رضا علي.. هل جئت الى المعهد عن رغبة اكيدة؟!

وكان جواب الطالب: بالتأكيد يا استاذ؟!

ويمر عام واحد... وينصحه استاذه "روحي الخماش" بالاتجاه الى الغناء والموسيقى خاصة بعد ان سمعه في احد الايام يدندن احدى الاغاني العاطفية القديمة.. مما جعله يفكر بشكل جدي بنصيحة استاذه.

بدأ رضا علي في الستينيات يأخذ مكانته في الغناء العراقي، واتخذ لنفسه لونا خاصا به.. وبدأت اغانيه تنتشر بشكل ملفت للنظر داخل القطر، واخذت اغانيه تذاع من اذاعة القاهرة وبيروت حتى لقبته الصحافة العربية بـ "سفير الاغنية العراقية". اما الان.. فلم يسمع صوته رغم انه لا يزال شابا في العمر والفن.. ونسأله عن هذه الظاهرة.. ليجيب:

. ما زلت على نشاط، واشعر انني الان امر بمرحلة جديدة الا انني اشعر دائما بان الظروف غير مواتية بشكل ايجابي... فلا يوجد الشاعر الذي يعكس المرحلة الجديدة الا ما ندر، لهذا تجد ان اكثر الشعراء يميلون الى الاجواء الجنونية فقط. وهذه ظاهرة غير صحية في الغناء العراقي..

يتوقف رضا علي عن الكلام للحظات.. ثم يتابع حديثه ليقول بشيء من الحسرة:

. انني اشعر بشيء من الغبن يلحقني فالاغاني التي تقدم من الاذاعة قليلة.. واحيانا معدومة. في حين لم يسجل لي التلفزيون اية اغنية رغم طلبات المستعمين والمشاهدين من خلال الرسائل او من خلال البرامج العديدة.. ولا ادري السر في ذلك!

مادمت تحدثت عن الاغنية العراقية الحاضرة.. ما تقييمك لها؟!

يجيب بتردد وبحذر:

. استطيع ان اقول لك بصراحة متناهية ان الاغنية الحاضرة متطورة، ولكنها تفتقر الى تنوع الكلام واللحن بحيث تشعر انك تسمع نوعا واحدا من الغناء لملحن واحد ولشاعر واحد.. بمعنى انها تخاطب اهل الجنوب فقط!!

والاصوات الجديدة.. ما دورها في هذا التطور؟!

يجيب بتردد ايضا:

. بشكل عام هناك اصوات جيدة تمتلك خامات مناسبة للغناء، ولكن بعضها يحتاج الى تجربة ومران. لان الصوت ليس هو الشيء المهم دائما في الغناء.. هناك امور عديدة لابد من توفرها في المطرب.. الثقافة الفنية والعامة.. الالتزام بالفن ليكون معبرا عن الشعب.. سلوكية المطرب نفسه، لان الفنان دائما معرض لان تسلط عليه الاضواء.. من هذا المنطلق يكون دور المطرب الحقيقي في تطور الاغنية العراقية!

وعلى كل حال فالصوت المثقف هو الذي يفرض وجوده على الناس، وهو بالتالي يعطي للفنان قيمته كمطرب ملتزم.

والاغاني الفولكلورية التي يعاد غناؤها الآن... ما رأيك بشكلها الجديد؟!

. انا ضد ادخال الآلات الغربية على الاغاني القديمة... الفولكلور لابد ان يبقى على حاله دون تزويق او بهرجة.. ولكن لا بأس من تهذيب بعض كلماته التي قد تكون غير مناسبة للمرحلة الحاضرة!

كانت الساعة تشير الى السابعة مساء... وقد مضى على جلوسنا اكثر من ساعتين.. ربما لأن الجلوس على شاطئ دجلة الجميل قد أنسانا كل شيء.. ولهذا واصلت الحديث مع المطرب دون ان اشعر بالتعب..

حسنا.. مادمت تحدثت عن ضرورة الخروج بالاغنية العراقية الى العالم.. ماهو السبيل الى ذلك في رأيك؟

يقول بسرعة دون تردد:

. كما قلت سابقا بأن الاغنية العراقية الحاضرة لها حضور محدد، ومحدودية في التخاطب من ناحية الكلام واللحن... لذلك اعتقد ان تغيير نمط الاغنية الحاضرة وجعلها ذات كلام متنوع ومفهوم يسهل علينا نقلها الى الخارج وبالتالي تكون مفهومة عند كل أبناء الأمة العربية.

يضحك رضا علي... ثم يتابع حديثه ليقول:

. كيف تريد من المصري او الليبي او السوداني او الجزائري فهم كلمات اغانينا مادام ابن الوطن لا يفهم احيانا كلمات كثير من اغانينا؟

واعمالك الجديدة؟!

. لدي الكثير من الاعمال الجديدة.. لدي اغنيتان "اسعد حبيبين" و "وردة الف فلاح".. اضافة الى اغنية لكنعان وصفي بعنوان "ردين". وكل هذه الاغاني خاصة بالاذاعة. واحسست ان الوقت بدأ يدركنا. فالساعة كانت تشير الى الثامنة ليلا ولابد من مغادرة المكان لحضور اجتماع المجلة الاسبوعي.

مجلة الاذاعة والتلفزيون 1975

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون